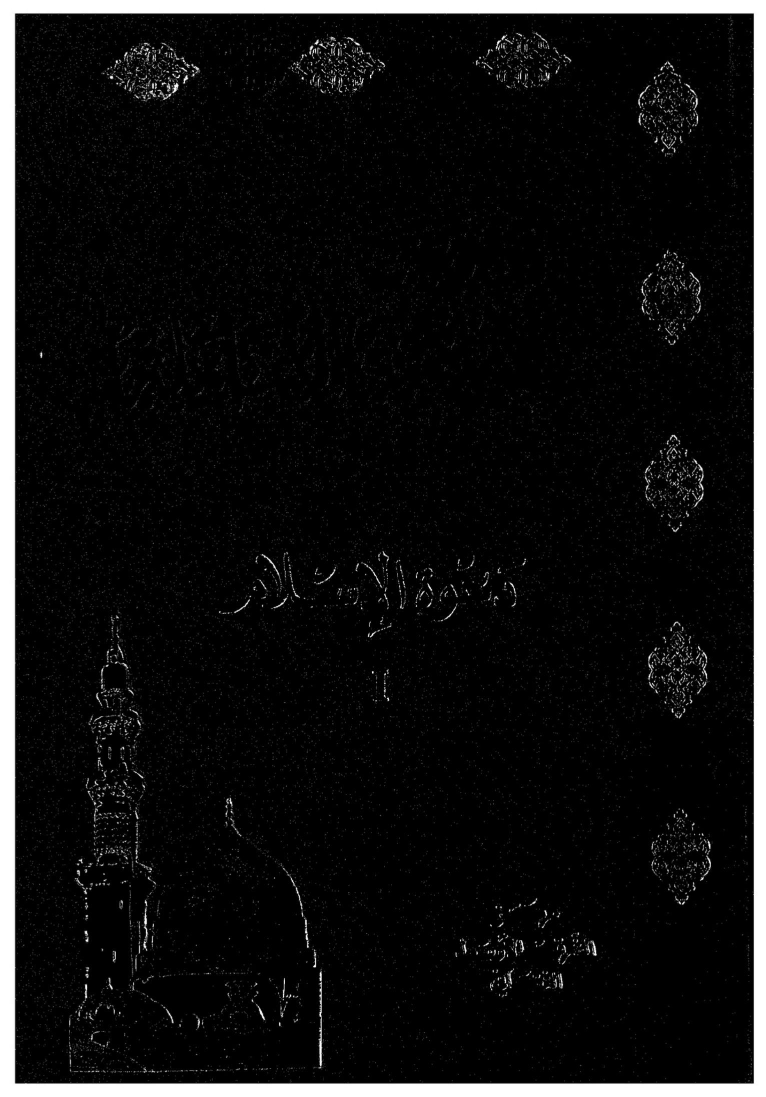

دعوة الإسلام



# الموسوعة
# الإسلامية الشاملة



# الموسوعة الإسلامية الشاملة

## دعوة الإسلام

I

السيد سابق

مركز الشرق الأوسط الثقافي

الطبعة الأولى



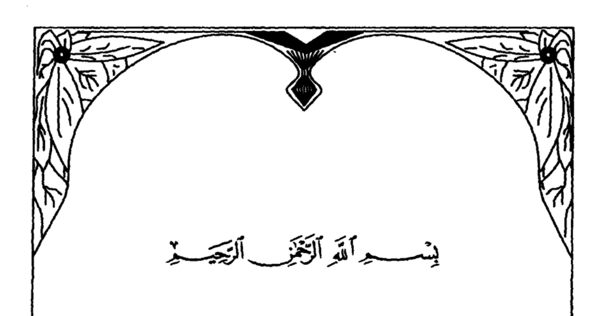
مركز الشرق الأوسط الثقافي
Middle East Cultural Center

للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع
For Printing, Publishing, Translating & Distributing

الإدارة العامة:
General Management:

بيروت ـ الحدث، هاتف: ٨٨٨ ـ ٤٦١٧٧٧ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ فاكس: ٤٦١٩٩٩ ـ ٥ ـ ٩٦١ ـ خليوي: ٦٤٠٤٩٠ ـ ٣ ـ ٩٦١
مصر ـ الدقي، هاتف: ٠٠٢٠٢٣٣٦٥١٥٢ ـ خليوي: ٨٨ ـ ٧٧ ـ ٦٦ ـ ٠٠٢٠١٨٢٥١١١٥٥
سوريا ـ دمشق، هاتف: ٠٣٠ ـ ٠٢٠ ـ ٠٠٩٦٣١١٤٦٤٤٠١٠ ـ خليوي: ٩٦٣٩٤٩٩٧٧٦٤

Beirut - Hadath, Tel: 961-5-461777 - 888 - Fax: 961-5-461999, Mobile: 961-3-640490
Cairo - Dokki, 002023365152 - Mobile: 0020182511155-66-77-88
Syria - Damascus, 00963114644010 - 020 - 030 - Mobile: 96394997764
Web site: www.lccpublishers.tk E-mail: lcc_ pub @ yahoo.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

[سورة المائدة، الآيتان ١٥ ـ ١٦]



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# مقدّمة

لا غنى للإنسان عن دين ينير عقله بالعلم والعرفان، ويهدي قلبه باليقين والإيمان، ويثير طاقاته وقواه لتنشط في الحق والخير. ويرسم له المثل الأعلى كي لا يخطىء الهدف أو يضل الطريق.

ولا نعلم ديناً من الأديان استهدف هذه الغايات ـ ليصل بالإنسان إلى أقصى درجات السمو ـ غير الإسلام الذي أكمله الله، وأتم به النعمة، ورضيه للناس ديناً.

ومن ثم كان الإسلام الكلمة الأخيرة، فليس بعده حقيقة دينية مجهولة، أو هداية إلهية لم ينجل عنها الظلام.

كما كان المنهج الذي لا يستغني عنه الفرد في تهذيب نفسه، ولا الجماعة في سيرها نحو المدنية الفاضلة، ولا الدولة، وهي تريد أن ترسي قواعد حكمها على أساس من المناهج الصالحة، والسياسة العادلة.

ومع أن الإسلام بهذه المنزلة، إلا أنه ـ في هذه الآونة ـ لم يُعْنَ

به العناية الحقة، ولم يُهتم به الاهتمام الجدير به من الكشف عن حكمه، وتبيين أسراره وتوضيح حقائقه، وإظهار شرائعه وشعائره، فضلاً عن أنه لم تتوافر الجهود في الدعاية له، والنهوض به، ولم توجد الجماعة المسلمة التي تتبناه وتتمثله في سلوكها وجميع تصرفاتها ليكون واقعاً عملياً ومثلاً حياً، يدعو إلى الإهداء به، والاستظلال في ظله الوارف.

يضاف إلى هذا، تلك الحرب التي شنها عليه أعداؤه المتربصون به، والتي وضعت خطتها في إحكام وحزم.

واتخذت هذه الحرب أساليب مختلفة.

ومن تلك الأساليب إثارة الريب. وإلقاء الشبهات حول التعاليم الإسلامية نفسها.

ومنها الإشادة بحضارة الغرب، والتنويه بالكشوف العلمية والتقدم الصناعي، والرفاهية التي يعيش فيها الماديون.

ومنها الإغراء باللذائذ والشهوات، وعرضها عرضاً مثيراً يصرف عن الهدى ويوقع في الضلال.

فكان لهذه الحرب المعلنة من جانب، وللموقف السلبي الذي يقفه المسلمون من جانب آخر، الأثر البعيد المدى في زلزلة العقائد، وبلبلة الأفكار، والتأرجح بين الخير والشر، والاندفاع وراء الهوى وشهوات الأنفس وحصر الاهتمام في تحصيلها، دون رعاية لحق، أو احترامٍ لمبدأ، أو خشيةٍ من الله.

وكان الشك والقلق والحيرة طابع الفترة التي يمر بها هذا الجيل من الناس.

وهذا كله يقتضي من القادة والمصلحين أن يبذلوا أقصى ما في طاقاتهم، ويهبوا أنفسهم للكشف عما في الإسلام من سمو وجمال حتى يبطل زيف المخادعين، وتتجلى الحقيقة ناصعةً أمام من يبتغي أن يحقق إنسانيته، ويأخذ طريقه إلى الله، ليسعد بمعرفته، وينعم برضاه.

وهذا الكتاب الذي نقدمه هو محاولة من تلك المحاولات التي تلقي ضوءاً على بعض الجوانب الإسلامية لم نشأ أن نتوسع فيها حتى لا يشق ذلك على القارىء. وإنما أردنا أن تكون نظرات سريعة، ودراسات مختصرة حول كثير من القضايا الإسلامية.

وستبدو من خلال هذه الدراسات الصورة المشرقة لدستور الإسلام ونبي هذا الدين، كما سيظهر سمو تعاليمه ورجحانها على التعاليم والثقافات التي عرفها الناس، وأن هذه التعاليم إنما هي ضرورة من ضرورات هذه الحياة، لا يستغني عنها الإنسان في جميع أدوار حياته إلا إذا انسلخ من إنسانيته، وتجرد من فضائله، ورضي أن يكون حيواناً لا ضمير يهديه، ولا قلب يرشده.

وبتقديم هذه المحاولة نكون قد أدَّينا بعض الدَّين لهذا الدِّين الذي منَّ الله علينا به، وقمنا بواجب تبليغ دعوة الحق والخير.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ .

**السيد سابق**



# الدينُ والإسلام

# معنى كلمة «إسلام»

الإسلام في اللغة: الخضوع والانقياد؛ يقال: فلان أسلم؛ أي خضع وانقاد، ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(١).

ويطلق لفظ «الإسلام» ويراد به مجموعة التعاليم التي أوحاها الله إلى سيدنا محمد - ﷺ - وهي داعية إلى توحيد الله والخضوع لأحكامه والانقياد للأصول العامة التي جاء بها الأنبياء من قبل. يقول الله تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾(٢).

ومن ثَمَّ فقد أطلق لفظ مسلم على كل من اتبع هذه التعاليم، فيقال إن نوحاً مسلم وإبراهيم مسلم وموسى مسلم وعيسى مسلم، وكذلك يسمى بهذا الاسم كل من تبعهم وانقاد لتعاليمهم.

---

(١) سورة آل عمران، آية:٨٣

(٢) سورة الشورى، آية: ١٣..

ولما كان سيدنا محمد ـ ﷺ ـ آخر من حمل هذه التعاليم ودعا إليها أُطلق عليه اسم مسلم، وأُطلق على أتباعه المسلمين، وسمي الدين الذي دعا إليه «الإسلام». وهذه التسمية ليست من اختراع أحد وإنما هي من الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (١).

فالإسلام ليس بجديد على الناس، ودعوة سيدنا محمد ليست بدعة من البدع، وإنما الإسلام هو المنهج الذي ارتضاه الله للناس جميعاً، من أول الرسل إلى خاتم الأنبياء.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (٢).

وكل ما خالف هذا المنهج فليس بدين عند الله، والله لا يقبل أي عمل من الأعمال التي لا تتفق معه.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (٣).

أي ومن يطلب ديناً غير الإسلام الذي هو دين جميع الأنبياء فلن يُقبل منه، ولذا يكون في الآخرة من الخاسرين لكل خير.

فالآية تعني جميع البشر، فكل فرد من الأفراد لا يعتنق الإسلام ولا يدين به فإنه يجري عليه حكم هذه الآية ويكون في الآخرة من

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

الخاسرين، لأنه بعدم انقياده للإسلام يكون خارجاً عن منهج جميع الأنبياء والرسل.

وقد جاء الإسلام ليعيد لتعاليم الله صفاءها وليخلص الدين مما علق به من رواسب وما لحق به من تحريف. فهو إصلاح عام ودعوة إلى تآلف الشعوب وتقارب الأمم وتوحيد العالم ودعوة الناس جميعاً إلى منهاج واحد في العقيدة والسلوك ليعيشوا في سلام ومحبة وتكافل وتعاون وتآزر كي يصل المجتمع الإنساني إلى المستوى الراقي الرفيع.

* * *

# طبيعة عصرنا الحاضر

كثير من الناس لا يحفل بمبادىء الدين، ولا يهتم بعقائده وشرائعه، ولا يكترث بآدابه وفضائله، ولا يبالي بما ينطوي عليه من مناهج للحياة وأساليب للسلوك.

وجل اهتمام الكثير من الناس هو تأمين لقمة العيش، وتوفير أكبر قسط من المتعة، وأوفى نصيب من الراحة. وقد غرقوا إلى الأذقان في البحث عن نظريات علمية، وشغلوا أيَّما شغل بنظم اقتصادية وتشريعات اجتماعية، كما استأثرت بجهودهم وجهادهم قضايا القومية والوطنية. وكان من أثر هذا كله، أن ارتقت الحياة رقياً مادياً، واتسعت دائرة المعارف والفنون والآداب، ووجدت بعض نواحي الإصلاح في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأمكن للإنسان بذكائه وعقله وتجاربه أن يلطف من الطبيعة ويصقلها ويهذب من أحكامها.

وبالرغم من هذا الرقي المادي، فإنه لم يهب الناس سكينة النفس، ولا طمأنينة القلب، ولا راحة البال. بل كان الأمر على العكس من ذلك، فإن هذا التقدم قد جلب الكثير من القلق والخوف والاضطراب. فقد خلَّف وراءه أنانية وأثرة وحباً للذات، وجعل الفردية هي التي تسود،

والفردية بطبيعتها لا تقدس الحرم، ولا تعرف الخلق، ولا تحترم القانون، ولا تصون الحقوق، ولا تصل بالإنسان إلى كماله المنشود. وقد حصر هذا التقدم المادي في كل ما هو مادي، فالمال قيمة، والقوة قيمة، والاستمتاع الجسدي قيمة.

وأصبحت شريعة الغاب هي التي تتحكم، والاستعمار يجثم على قلوب الضعفاء، والتهديد بالحرب لا يكاد ينتهي بعد حربين عالميتين زهقت فيهما ملايين الأنفس من البشر، وضاعت فيهما كنوز من الأموال. لقد كان من أثر هذا التقدم أن أصبحت الأحقاد والأطماع والشهوات والتنازع والانقسام هي العلامات المميزة لهذا العصر.

وكان طبيعياً أن يلفت هذا الإفلاس في القيم والمثل أنظار المفكرين الذين يحنون على البشرية، ويحبون لها أن تحيا الحياة الطيبة، وأن يمعنوا النظر في هذه النظم بعدما ثبت لهم فشلها وعدم قدرتها على تحقيق سعادة الإنسان وتوفير هناءته.

إنه لا بد لها من بديل يحل محلها، ويقوم مقامها، كي تصل الإنسانية إلى كمالها المنشود وسعادتها المرجوة.

وليس ثمة بديل سوى الدين.

والدين وحده هو الذي يستطيع أن يحدث التغيير في نفوس الأفراد، وبتغيير نفوس الأفراد يتغير المجتمع تبعاً للقاعدة العامة:

**«إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».**

* * *

# الدين ضرورة

إن الدين فطرة من الفطر التي فطر الله الناس عليها، وهو ضرورة كضرورة الضوء للعينين، والهواء للرئتين، والروح للجسد.

والدين يمثل أكرم صلة بين الخالق والمخلوق، وينظّم أوثق علاقة بين السماء والأرض؛ فإن أشرف ما في الأرض الإنسان، وأشرف ما في الإنسان قلبه، وأشرف ما في القلب الإيمان بالله، خالق الوجود وواهب الحياة.

والدين قيمة خلقية؛ فإن الإنسان له غرائز طبيعية واستعدادات نفسية وميول فطرية، وهذه الغرائز والاستعدادات والميول هي التي توجه الإنسان، وترسم له خطوط سيره، فإذا تركت وشأنها نزعت به إلى شرِّ منزع.

فإن من الناس من تغلب عليه الشهوة البهيمية فيكون في ممارسته لها أحط من البهائم.

ومنهم من تغلب عليه الشهوة الغضبية فيكون في ظلمه وبغيه وعداوته وانتقامه أضرى من الوحوش المفترسة.

ومنهم من تغلب عليه الشهوة الشيطانية فيكون مثل إبليس في

المكر والكيد والخبث، والنفاق والرياء، والكذب والخداع والتضليل والتمويه.

والدين وحده، بعقائده وشرائعه، وآدابه ومثله، هو الذي يطهِّر النفوس من هذه النقائص البهيمية والغضبية والشيطانية، وهو الذي يهذب الغرائز ويعليها، ويوجهها إلى خيرها وبرها، فهو الذي يكبح جماح الشهوة البهيمية فتكف عن التدلي والتسفل والشره، وهو الذي يوجهها إلى الاتّصاف بالعفة والقناعة والنزاهة والشرف.

وهو الذي يمنع الشهوة الغضبية من الاسترسال في الظلم والبغي والعدوان والمسارعة إلى الانتقام، ويوجهها إلى الشجاعة في الحق، ومواجهة الباطل بالعنف، ومناصرة الضعيف، وإغاثة الملهوف.

وهو الذي يطارد وساوس الشيطان وحظه في النفس، ويحول شروره وآثامه إلى الصدق والإخلاص، والطيبة والسماحة وصفاء السريرة، والمحبة والمودة وحب الخير للناس.

والدين هو الذي يوجه إلى إرادة الخير وكراهة الشر، وهو الذين يغرس في النفس حب الحق والعدل، ومقت الباطل والظلم. وهو الذي يحبب إلى الناس المعاونة والمؤازرة بالمال والعلم والإرشاد.

وهو الذي يفجر في النفس مشاعر الرحمة والعطف والتواضع، ويميت القسوة والغلظة والكبرياء.

وهو الذي يدفع الإنسان دفعاً إلى النشاط الإنساني، ويجنبه كل ما من شأنه أن يعوق النشاط التعاوني البار الرحيم.

وهو الذي يوجه إلى عمل الدنيا وعمل الآخرة، ويجنب المرء الكسل والضعف والخنوع والرضا بالدون.

والدين هو الموجد للضمير؛ والضمير هو الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب، يحثه على أداء الواجب وينهاه عن التقصير فيه، ويحاسبه بعد أداء العمل، مستريحاً للإحسان ومستنكراً للإساءة.

وهذه الفضائل مجتمعة هي التي تكفل إيجاد فرد مهذب، وأسرة سعيدة، ومجتمع فاضل، ودولة رشيدة، وحضارة راقية، ومدنية زاهرة.

هو الذي يحقق إرادة الله في إيجاد كيان قوي، يمثل الفضيلة ويجسمها في صورة عملية منظورة جديرة بكرامة الإنسان.

ويبقى بعد ذلك أن نتساءل: ما هو الدين الذي يستطيع أن يصنع هذا كله؟

* * *

# الإسلام هو المخلِّص

جاء الإسلام متناولاً كل شيء من العقائد والشرائع التي تكفل للناس السيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

ففي العقائد يتناول أمور الدين، وعالم ما وراء الطبيعة، فهو يتحدث في وصف وإسهاب عن:

١ ـ الله: ذاته وصفاته وأفعاله.

٢ ـ الوحي والتنزيل، وماهية كل منهما.

٣ ـ الأنبياء والرسل، ووظائفهم وعصمتهم.

٤ ـ الملائكة والأرواح، وطبيعة كل منهم.

٥ ـ الجزاء على الخير والشر.

٦ ـ الجنة والنار ومصير الحياة.

وفي الأخلاق يتناول الفضائل والآداب، ويدعو إلى الاتصاف بمكارم الأخلاق، والقيام بالواجبات الشخصية والاجتماعية، ويشدّد في الأخذ بالقانون الخلقي، لأن ذلك هو الذي يحفظ الدين، وينفع الأمة ويوفر الخير لها، ويسعد البشر ويبلغهم الغاية من صلاح الأحوال، وراحة البال.

ونصوصه ترشد إلى تفضيل الأخلاق، وحسن معاشرة الناس على كثير من العبادات الشخصية. فمن كلمات الرسول - ﷺ - في ذلك:

**«إنما بُعِثْتُ لأتمِّم مكارم الأخلاق».**

**«المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم».**

**«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».**

**«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابُّوا».**

**«أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».**

**«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جنيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل خيراً أو ليصمت».**

**«عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة».**

**«من مشى في حاجة أخيه ساعة في ليل أو نهار، قضاها أو لم يقضها، كان خيراً من اعتكاف شهرين».**

**«ألا أُنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ - إصلاح ذات البين».**

«إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها».

«إن الله حفَّ هذا الإسلام بمكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال».

«إن الخلق وعاء الدين».

**«إذا أسرَّتك حسنتك، وساءتك سيئتك، فأنت مؤمن».**

وفي العبادات يدعو إلى الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر والدعاء والإخلاص، مبيناً شروط كلٍّ وأركانه وسننه، وآدابه وكيفيته، وكيف تزكو أنفس البشر بالعبادة، وتطهر قلوبهم، وتسمو أرواحهم، حتى يتربوا التربية الدينية الفاضلة، مما يترتب عليه عظمة الأمة وقوة نفوذها، وشدة بأسها!.

وفي الناحية الاجتماعية يتناول النواحي الآتية:

١ ـ ناحية الأسر والبيوت؛ فيتحدث عن الزواج والطلاق، والنفقة والحضانة، والمواريث واليتامى، والوصايا والوقف.

٢ ـ ومن ناحية الآداب الاجتماعية؛ يتناول آداب الاستئذان والتحية، وعدم إبداء زينة المرأة.

٣ ـ ومن ناحية ما يتعلق بمعاملات الناس؛ يأمر بالوفاء بجميع الالتزامات وينهى عن أكل الربا، وأخذ أموال الناس بالباطل، والإدلاء بها إلى الحكام، ويبين شكل التعاون، فيأمر بكتابة الدَّيْن والإشهاد عليه. ثم يسن بعد ذلك القواعد الكلية، والقوانين العامة التي يمكن أن تستنبط بواسطتها الأحكام بالنسبة للقضايا الحادثة، والوقائع المتجددة.

٤ ـ ومن ناحية الجرائم، يتحدث عن حد شرب الخمر، وحد الزنا، وحد الرِّدَّة، وحد القذف، وحد قطاع الطريق، والقصاص في القتلى. ومن ناحية الجهاد يتناول مشروعية الجهاد، والعهود والمواثيق، وأسرى الحرب، والغنائم.

ويتبين من هذا أن الإسلام منهاج عام، وضعه الله للبشر ليتمكنوا بالسير عليه من كبح جماح النفس، والتغلب على الهوى، وجهاد وسوسة الشيطان.

وهو بهذا كان رحمة مهداة:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

* * *

# بين الإسلام والمدنيّة

إن من المتفق عليه أن من نقائص المدنية الحديثة:

١ ـ إهدار القيم الروحية، مما تسبب عنه تدهور الأخلاق ونضوب معين الفضائل.

٢ ـ اعتبار القوة، وتقديسها إلى حد العبادة، دون مراعاة للحق والعدل.

٣ ـ التهديد بالحرب، واختراع أدوات التدمير والتخريب. مما جعل الناس يعيشون في جو يسوده القلق والاضطراب.

وهذه النقائص هي نفسها نقائص الجاهلية. وقد كانت مثار فساد كبير في المجتمع البشري، مما اقتضى جهوداً كبيرة من رسل الله وأنبيائه.

ولقد جاء الإسلام ليمنع هذه المفاسد، وليبني مدنية راقية تتفق مع رقي الإنسان الفكري ونضوجه العقلي، فدعا إلى الاصلاح، ونهى عن الفساد في الأرض.

فقرر أن الهلاك لا يحل بالأمة، وهي صالحة مصلحة؛ تؤمن بالحق وتفعل الخير: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾.

والصالحون من عباد الله ـ الذين يؤدون الحق ويضطلعون بالواجب ويتحملون المسؤوليات ـ هم أحق وأولى بميراث الأرض والانتفاع بخيراتها، وتوزيعها على مستحقيها.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

والحياة الطيبة، حياة القلب والعقل والضمير، إنما هي ثمرة لإيمان صحيح وعمل صالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

وقد يخيل للمصلح أن جهده الإصلاحي يذهب سدى ويتبخر كما تتبخر ذرات الماء في الهواء!. فأخبر الله سبحانه وتعالى أن ذلك مذخور لا يضيع منه شيء: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾.

وبإزاء هذه الدعوة إلى الصلاح والإصلاح ـ الذي يرطب الحياة ويجعلها جديرة بأن يحياها الإنسان ويظهر فيها مواهبه وطاقاته، ويفتح فيها آفاقاً واسعة من الإنتاج والابتكار ـ نهى عن الفساد، حتى لا يتوقف عمل المصلحين ولا يتباطأ سير العاملين، فقال: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، وقال: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

والفساد طبيعة النفاق ومرض القلب، ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

والمفسدون لا يستحقون إلا أن يُحجبوا عن الله ويحال بينهم وبين رحماته: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾.

وعلى محبي الإصلاح أن يرصدوا خطوات هؤلاء المفسدين، ويجنبوا المجتمع شرورهم بكل وسيلة ممكنة، ولو كان ذلك ببترهم وقطع دابرهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

إن الفساد كان العمل الأول لفرعون. فحوسب عليه الحساب العسير: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾.

وطبيعة الاستبداد التي تتسلط على المستعمرين أنهم يستعبدون غيرهم وينكلون بالضعفاء ويفسدون بتمكين من لا كفاية له، وإهدار كرامة الأحرار: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

وثمة صنف من الناس، يحسنون القول، ويسيئون العمل، ولا تنطوي جوانحهم إلا على خبث الطوية وفساد الضمير، وسوء القصد، وهم مع ذلك أقوياء في لبس الحق بالباطل وستر أعمالهم السيئة، بما يظهرونه من لين القول وعذوبة الحديث.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

ولقد حذّر القرآن المسلمين من الفساد إن هم تولوا الحكم، وأوعدهم إن هم فعلوا ذلك بشر مصير:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾.

هذه دعوة الإسلام إلى الإصلاح، ونهيه عن الإفساد، لينتظم أمر العيش وليطمئن كل على نفسه وماله وعرضه وكرامته.

أما شريعة الغاب التي يطبقها دعاة الحضارة في هذا العصر فهي بربرية لا تتماشى مع ما حصل عليه الإنسان من رقي مادي وكشف علمي، ونجاح في ميادين الحياة المختلفة.

نحن، معشر المسلمين، مطالبون بنشر دعوة الإسلام لنقدم للناس هذا النور الذي لا غنى لهم عنه، وهذا الروح الذي لا حياة لهم بدونه، وهذه القيم التي تجعل الإنسانية تستمتع بسكينة النفس وطيب العيش وسلام الضمير..

* * *

# الإسلام في عصر الحضارة

بين الحين والحين تنبع أصوات، خافتةٌ حيناً ومدويةٌ حيناً آخر، تقول: إن الدين رجعية، والتدين تخلف، والحياة العصرية لم تعد تحتمل العودة إلى الوراء ولا التخلف عن ركب الحياة الزاحف نحو التقدم والارتقاء.

وهذه الأصوات ـ سواء الظاهر منها والمضمر ـ أصوات ظالمة، تظلم الدين وتظلم الحقيقة معاً. وهي مع ظلمها آثمة أيضاً، إذ أنها تصرف الكثير ممن يخدعون بها عن المثل الأعلى، وتحول بينهم وبين التقدم الحقيقي والارتقاء الجدير بشرف الإنسان وكرامته باعتباره خليفة عن الله في الأرض.

وقد يكون السبب في هذا الحكم الجائر ما يشاهد من الأعمال الكريهة التي تصدر عمن يأخذون من الدين بالجانب المظهري دون الجانب الحقيقي والجوهري.

والحكم على الدين من خلال سلوك الأفراد الملتصقين به حكم يجانبه الصواب، وكثيراً ما نعى القرآن الكريم على المنتسبين إلى الدين سلوكهم المعيب وهبوطهم إلى المستوى الذي يجب أن يترفعوا عنه... ألم يقل:

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾؟

ألم يقل: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟

إن الحق لا يعرف بالرجال.. ولكن: «اعرف الحق تعرف أهله»، كما يقول الإمام علي كرَّم الله وجهه. إن الحكم الصحيح هو الحكم على المبادىء والتعاليم التي لم تشبها الظنون ولم تخالطها الأوهام ولم تصل إليها يد التحريف والتزييف.

## تعاليم الدين وركائزه

إن للدين ركيزة يقوم عليها، ومثلاً أعلى يُعمد إليه، وشعاراً يرفعه، وهدفاً يستهديه، ووسيلة يتذرع بها.

فركيزته الأولى إقامة الحق والعدل، والقضاء على العسف والظلم حتى تصان الدماء وتحفظ الأعراض وتحمى الأموال.

إن العدل قامت به السموات والأرض، وهو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾.

والعدل الذي أوجبه الله هو العدل المطلق، الذي ينتظم جوانب الحياة جميعاً:

١ ـ فهو عدل في الحكم ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾.

٢ - وعدل في القول والشهادة ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾.

٣ - وعدل عند كتابة الوثائق ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾.

٤ - وعدل في الأسرة **«اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»**.

٥ - وعدل عند الصلح بين المتخاصمين ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟﴾.

٦ - وعدل لا يحابي قريباً لقرابته ولا يظلم عدواً لعدوانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

## المثل الأعلى

والمساواة هي المثل الأعلى في الإسلام، فقد سوَّى بين الناس في النواحي الآتية:

١ - في أصول النشأة ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

٢ - وفي التمتع بالنعم المادية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

٣ - وفي التمتع بالنعم الروحية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

٤ - وفي تكاليف الإيمان والعمل الصالح ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾.

٥ - وفي الحقوق والواجبات وأمام القانون.

٦ - وفي الحاجة إلى الله والافتقار إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

٧ - وفي الجزاء والمصير ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦﴾.

ويحدثنا القرآن أن الناس كانوا يؤمنون بهذه الوحدة الجامعة بينهم ويدينون بها كل يوم إن كانت فطرهم سليمة؛ وما طرأ عليهم الخلاف إلا بسبب البغي والانحراف عن الصراط السوي:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾.

ولقد أراد الإسلام بتقرير هذه الحقائق أن يحقق الغايات الآتية:

أ - القضاء على الجاه والتعالي بالنسب، وما يحدثانه من فرقة وتنازع.

ب - تغيير المقاييس التي يقاس بها الأشخاص. فالفرد لا يستمد شرفه من الانتساب إلى الأسرة أو القبيلة، وإنما يستمد شرفه من التقوى وأداء الواجب والعلم النافع والعمل الصالح.

جـ - إدماج الأفراد بعضهم في بعض، وإيجاد المشاركة الحقيقية على أساس رحمة الصغير وتوقير الكبير، ومعرفة أقدار أصحاب الفضل، وتعاون الجميع على ترفيه الحياة.

د ـ فتح باب التقدم والترقي أمام المجدِّين والعاملين بقطع النظر عن مركزهم الاجتماعي.

## شعاره

والحرية، وهي شعار الإسلام، هي حق مقرر لكل فرد، وهذا الحق لا يتقيد بأي قيد سوى ما أحله الله من مصالح وحرمه من مفاسد.

وهي أحد المبادىء الأساسية التي تتحقق بها سلامة الأفراد والجماعة.

والحكم الصالح هو الذي يوفر لأفراد مجتمعه الهناء والسعادة بإطلاق الحريات وصيانتها من كل عبث، سواء في ذلك الحرية السياسية أو الحرية الدينية أو الحرية الفكرية أو حرية التصرف والعمل.

وهذه الحرية هي مقتضى التكريم الذي كرم الله به الإنسان:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾.

## هدف الإسلام

وهدف الإسلام هو إسعاد الإنسان؛ ويتم ذلك بتوفير ما يأتي:

١ ـ الرخاء والرفاهية.

٢ ـ الصحة والعافية.

٣ ـ سكينة النفس وطمأنينة القلب.

والسبيل إلى الرخاء هو العمل، وهو فريضة كفريضة الصلاة. يقول الرسول ﷺ:

**«طلب الحلال فريضة على كل مسلم».**

ويقول: **«من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة القدر. ومن طلبها حراماً مكابراً بها مفاخراً، لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان».**

والنظافة والرياضة وتناول الطيبات من الرزق في اعتدال هي الوسيلة لحفظ الصحة، وهي من تعاليم الإسلام؛ ومتى شعر الإنسان بالمرض يدب في أوصاله كان المطلوب منه أن يسارع إلى العلاج. يقول الرسول ﷺ:

**«أيها الناس تداووا، فإن الله ما أنزل داء إلا أنزل له الشفاء».**

وما سكنت النفس ولا اطمأن القلب بمثل الثقة في الله والتوكل عليه وحسن الظن به:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

## وسائله

والوسائل التي تذرع بها الإسلام في الدعوة حسب منهج رشيد ومنطق ديني كريم، فهو يقسم المدعوين طوائف ثلاثاً ويحمل لكل طائفة أسلوباً خاصاً.

**الطائفة الأولى**: طائفة العلماء، وهؤلاء يدعون بالحكمة وهي أعلى أنواع المعرفة والمعبر عنها بالفلسفة التي يذعن لها العقل ولا يجد بداً من الخضوع لها.

**والطائفة الثانية**: طائفة العامة ودعوة هؤلاء تكون بالموعظة، وهي التعاليم التي تشعر النفس بنقصها وخطر أمراضها الاعتقادية والخلقية وتحملها على معالجتها حتى تشفى وتهدى.

**والطائفة الثالثة**: طائفة المجادلين، وهؤلاء ينبغي أن يكون الجدل معهم حسناً لا يشوبه عنف ولا تخالطه غلظة بل تواجه الحجة بالحجة وتقاوم الفكرة بالفكرة على أساس من المنطق السليم ابتغاء تجلية الحق والكشف عن وجه الصواب، وهذا المبدأ هو الذي ذكره في قوله:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾.

هذا هو الدين في صورته الصحيحة الوضيئة. وهل فيه ما يعوق التقدم أو يحول بين الناس وبين الوصول إلى أعلى أهداف الحياة؟ أو يتنافى مع أرقى ما وصل إليه العلم أو بلغته الحضارة؟ إن الدين روح به الحياة ويفقده الموت ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾.



# الدنيا في نظر الإسلام

## اختلاف مفهوم الكمال والسعادة

كل فرد من أفراد النوع الإنساني ينشد الكمال ويحرص على السعادة، ويحاول الوصول إليها بكل سبيل، ولكن فهمهم لها يختلف اختلافاً بيناً:

فمنهم من يرى أن السعادة المنشودة محصورة في التمتع باللذائذ المادية والنعم الظاهرة.

ومنهم من يرى حقارة هذه اللذائذ، وأن السعادة هي الخروج عن دائرة الفطرة البشرية بتحريم الطيبات والانقطاع عن الدنيا.

وكل فريق من الفريقين مخطىء في فهمه ومجانب للحق والصواب. إذ أنه فهم لا ينسجم مع الحياة ولا يتسق مع ما خلق له الإنسان من تحقيق الخلافة في الأرض.

**فالفريق الأول**: الذي يؤثر الدنيا ويحرص على لذائذها، يفسد خلقه وتضعف إرادته ويضطرب أمره؛ ولهذا مقت الله هذا السلوك، ووصفه بالكفر والضلال، وشبَّهه بسلوك الأنعام التي لا تعقل معنى الوجود ولا تفهم قيمة الحياة:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1].

وأما **الفريق الآخر**: فإنه فريق انعزالي يقف من الحياة والوجود موقفاً سلبياً. وسلوك هذا الفريق من شأنه أن ينقل قيادة الحياة إلى الأشرار فيوجهوها حسب أهوائهم وتبع رغباتهم. وفي ذلك فساد الدين وضياع الدنيا. والله يوجه الخطاب لهذا الصنف من الناس فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[2].

## فكرة الإسلام عن مفهوم السعادة والكمال

وإذا كان كل من الفريقين مخطئاً في فهمه للسعادة وفي نظرته إلى الكمال في نظر الإسلام فإنه يوضح صورتهما ويرسم معالمهما. فهو يرى أن الإنسان خليفة عن الله في الأرض، وأن عليه القيام بواجبات هذه الخلافة، وأنه جسد وروح، وأن الجسد ليس عدواً للروح ولا سجناً لها. وإنما هو أداة لها من أجل القيام بهذه الواجبات والتبعات. وأن الدنيا دار عمل وميدان كفاح، وليست دار تعذيب أو شقاء، وأن على الإنسان أن يظهر مواهبه بالجد والسعي، والكدح والكفاح في كل ميدان من ميادين النشاط الإنساني:

---

(١) سورة محمد، آية: ١٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٨٧.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[1].

وإحسان العمل يتخلص في أن يحسن الإنسان صلته بالله عن طريق العقيدة والعبادة، ويحسن صلته بالناس عن طريق الخلق والبر ليحقق بذلك كماله الروحي والإنساني؛ يضاف إلى ذلك استخراج كنوز الأرض والانتفاع بالقوى المبثوثة في الكون وإصلاح النظام المعيشي لتحقيق الكمال المادي.

## اهتمام الاسلام بضرورات الإنسان وحاجاته المادية

لهذا نجد الإسلام عُني بكسب المال وتحصيله باعتباره عصب الحياة وقوامها، وجعل ذلك فريضة من فرائضه:

**«طلب الحلال فريضة على كل مسلم».**

وأوجب المحافظة عليه سواء كان عقاراً أم ذهباً أم فضة:

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[2].

واهتم بتوفير الحاجات الاستهلاكية، من الغذاء والكساء والمسكن، وما لا غنىً للإنسان عنه ليكون على مستوى كريم من الحياة:

**«من وَلِيَ لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً، أو ليست له**

---

(١) سورة الملك، آية: ٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٥.

**زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ خادماً، أو ليس له دابة فليتخذ دابة»**[1].

وسئل رسول الله - ﷺ - عن حد الكفاية للفرد فقال:

**«ما سدّ جوعتك، ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك فذاك، وإن كان لك دابة فبخ بخ».**

وأمر بالأكل من الطيبات ونهى عن تحريمها، واعتبر ذلك اعتداءً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[2].

وامتنَّ على الناس بالملايين... ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا[3] وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[4].

كما امتن عليهم بالسكن فقال: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[5].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

(٣) ما يتجمل به من الثياب.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٥) سورة النحل، آية: ٨٠.

وأمر بالزواج واعتبره آية من آياته... ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

وفي الحديث «تزوجوا الودود الولود».

والمرأة الحسناء لا يزهد فيها مهما غلا مهرها، لما في الزواج بها من تكميل للدين، على أن تكون صالحة، كي تسر العين بجمالها والقلب بكمالها.

ويرغب في إقامة الدور والمساكن التي تحتوي جميع المرافق والأثاث، ما دام لم يقصد بها المباهاة والمفاخرة، وبذلك تتسع دائرة العمران. وقد فعل ذلك الزبير بن العوام وابن المبارك ومحمد بن الحسن وكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الراشدين. ولا بأس بتزيينها وتجميلها؛ فإن طلب الزينة والجمال مقصود حسن في ذاته. والنفس التي لم تفسد فطرتها تعشق الجمال وتتلذذ به، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ (٢). ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾.

وأي فرق بين التلذذ بالجمال في الأنعام والجمال في الدور...

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

أما الآثار التي وردت في كراهية رفع البنيان وزخرفته، فليست

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

(٢) سورة النحل، آية: ٥، ٦.

(٣) سورة النحل، آية: ٨.

على إطلاقها، وإنما المقصود بها كراهية ذلك إذا قصد بها المفاخرة والمباهاة والتطاول على الناس، لا مجرد التلذذ بالجمال والزينة، فإنهما مطلوبان في كل حال:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)﴾[١].

إن الحرص على الجمال ابتغاء الحصول عليه لَمِمَّا يحبب فيه الإسلام ويدعو إليه، حتى يشعر الإنسان براحة نفسية من جانب ويحتفظ بكرامته فلا يستخف به ولا ينزل عن مكانته التي هو أهل لها من جانب آخر. وكثيراً ما يلفت القرآن نظر الإنسان إلى الجمال في الكون والطبيعة والأشياء المحيطة به:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦)﴾[٢].

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[٣].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١ و٣٢.

(٢) سورة الحجر، آية: ١٦.

(٣) سورة النمل، آية: ٦٠.

(٤) سورة ق، الآيتان: ٦ و٧.

والله سبحانه وتعالى يحب الجمال في كل شيء: جمال الأقوال، وجمال الأفعال، وجمال الصفات، وجمال الأسماء، حتى جمال الثياب... فعن مالك ابن عوف قال: أتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا قشف الهيئة قال: هل لك من مال؟ قلت: نعم. قال: **إذا أتاك الله مالاً فليُرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته**». وفي حديث آخر «**إذا أتاك الله مالاً فليُرَ عليك؛ فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً، ولا يحب البؤس ولا التباؤس**».

وصح عن رسول الله قوله: «**أحسنوا لباسكم وأصلحوا رواحلكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس**». والحديث يشير إلى أن المسلم شخصية فذة ممتازة، فكما طُلِب منه أن يطهِّر باطنه بالإيمان بالله والارتباط به طُلِب منه أن يكون في مظهره كاملاً أنيقاً، بحيث يسترعي انتباه الناس في ملبسه ومركبه وأثاث بيته، وحتى يكون فيهم كأنه شامة بينهم.

ولقد فقه هذا علماء الأمة وساروا عليه؛ فعن أبي يعفور قال: سمعت ابن عمر يقول ـ وقد سأله رجل عما يلبس من الثياب ـ قال: «ما لا يزدريك فيه السفهاء، وما لا يعيبك فيه الحكماء»[(١)].

وكان الحسن البصري يلبس ثوباً بأربعمائة، وفَرْقَد السبخي يلبس المُسُحْ فلقيَ الحسن فقال: ما ألين ثوبك؟ قال: يا فرقد، ليس لين ثيابي يبعدني عن الله، ولا خشونة ثوبك تقربك من الله.

---

(١) رواه الطبراني.

وقد أنكر أحد المتزمِّتين على أبي الحسن الشاذلي جمال هيئته؛ وكان هذا الرجل ذا رثاثة؛ فقال له أبو الحسن: يا هذا، هيئتي هذه تقول: الحمد لله؛ وهيئتكم تقول: أعطوني من دنياكم.

ولا يدخل هذا الاستمتاع في الدنيا التي ذمَّها الإسلام في قوله ـ ﷺ ـ **«حسب الدنيا رأس كل خطيئة»**[١]. فإن المراد بالدنيا التي هي رأس كل خطيئة، هي حب الشرف والرئاسة، وحب المال رغبة في التفاخر والتكاثر، والترؤس والعلو على الناس دون كفاية أو إرادة نصرة الحق أو تجمل بين الناس.

يقول الله تعالى ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وعن كعب بن مالك، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **«ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفْسَدَ من حرص المرء على المال والشرف لدينه»**[٣].

فإن أراد بالمال والشرف نصرة الحق أو الوجاهة ليأخذ مكانته التي تليق به أو كانت له كفاية فإن حب الشرف والمال وطلبهما حسن. فقد قال يوسف عليه السلام للملك «اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ عليم». وطلب أحد المسلمين من الرسول ـ ﷺ ـ أن يكون إمام قومه، فقال الرسول: **«أنت إمام قومك»**.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلاً.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) رواه الترمذي.

مع هذا ينبغي الحذر والتوقي عما يلهي النفس ويصرفها عن غايتها المثلى من الطهارة والنظافة، وينحرف بها عن معاني الخير إلى رذائل الأخلاق ومساوىء الصفات. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾[1].

وطلب الدنيا على هذا النحو لا يتنافى مع الزهد، لأن الزهد ليس في تحريم زينة الله التي أخرج لعباده، ولا في ترك الطيبات من الرزق. وإنما الزهد الذي أراده الإسلام هو الزهد في الحرام، والزهد في الشبهات، والزهد في التوسع في اللذائذ والشهوات، التي تصرف الإنسان عن واجباته الشخصية والاجتماعية، وتنسي المرء واجبه نحو ربه ونحو أسرته ونحو بني جنسه.

وقد وضع الإسلام تحديداً للزهد فيما رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي ذر، أن النبي - ﷺ - قال: «**الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال؛ ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك، وأن تكون في ثواب المصيبة - إذا أنت أُصبت بها - أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك**».

والزهد بهذا المعنى يريح القلب والبدن، ويكسب محبة الله ويجلب مودة الناس. عن سهل بن سعد قال: جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال: يا

(١) سورة المنافقون، الآيات: ٩، ١٠، ١١.

رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. قال الرسول:

**«ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».**

* * *



# أُسس التربية الإسلامية



# إعداد الفرد

الإسلام يضع اللَّبِنَة الأولى في بناء المجتمع السليم، ويخطو الخطوة التي لا بد منها في إقامة صرح الأمة على أساس متين. فيوجب إعداد الفرد إعداداً بدنياً، وعقلياً، وخلقياً، حتى يكون عضواً نافعاً لنفسه، ولأهله، ولأمته، وحتى يضطلع بالأعباء التي تنوط به.

## إعداد الفرد بَدَنياً

والمقصود بالإعداد البدني: المحافظة على سلامة الجسد، حتى يبقى الفرد قويُّ البنية، بعيداً عن الأمراض والعلل، قادراً على مواجهة الصعاب التي تعترضه، وهو يعمل ويكدح، ويكد ويكسب.

وإنما يتم ذلك:

(ا) بما شرعه الإسلام من المحافظة على النظافة في البدن والثوب والمكان.

(ب) وبما أحله من الطيبات من الرزق.

(جـ) وبما سنَّه من رياضة.

(د) وبما دعا إليه من علاج.

١ - أما المحافظة على النظافة؛ فيقول الله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [(١)]، ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [(٢)]، ويقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [(٣)].

ويقول الرسول ﷺ: **«الطهور شطر الإيمان»**.

وقد أوجب الإسلام الوضوء والغسل.

وفي الحديث عن الرسول ﷺ: **«غسل الجمعة واجب على كل محتلم** [(٤)] **والسواك وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه»** رواه البخاري ومسلم.

ويقول: **«حق على كل سلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده»** متفق عليه.

وقد ندب الإسلام ورغب في تنظيف الأسنان، وقص أظافر اليدين والرجلين، وإكرام الشعر بدهنه وتسريحه.

فمن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي - ﷺ - ثائر الرأس [(٥)] واللحية، فأشار إليه رسول الله - ﷺ - كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته، ففعل، ثم رجع. فقال - ﷺ -: «أليس هذا خيراً من أن

---

(١) التوبة، آية: ١٠٨.

(٢) البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) المدثر، آية: ٤.

(٤) المحتلم: البالغ.

(٥) ثائر الرأس: أشعث غير مدهون ولا مرجل.

يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان[1]»...

وعن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[2]»**.

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ، قال: **«السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»**.

ويقول ﷺ: **«خمس من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»**.

ويقول: **«إن الله جميل يحب الجمال[3]»**.

٢ - وبجانب تشريع النظافة، يشرع الإسلام الأكل من الطيبات التي تغذي البدن وتقوِّيه، ليؤدي وظيفته ويقوم بنشاطه على خير وجه وأحسنه.

ويقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾[4].

---

(١) رواه مالك.

(٢) رواه مالك والشافعي والبيهقي والحاكم.

(٣) رواه مسلم عن ابن مسعود أن الرسول قال: «لا دخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً وفعله حسناً؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٧٢، ١٧٣.

كما يمنع الإسراف في تناول الطعام، فإنه يضر الجسم. ويعرِّضه لكثير من الأمراض والعلل.

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

ويقول الرسول ﷺ: **«ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه»**. ويقول: **«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع. وإذا أكلنا لا نشبع»**.

ونهى الإسلام عن تناول الخمور والمخدرات. وكل ما يضر البدن بأي نوع من أنواع الضرر.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [(١)].

ونهى ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

٣ - وشرع الإسلام ممارسة الألعاب الرياضية، مثل المصارعة والعدو والسباحة والرماية وركوب الخيل بالإضافة إلى أن عبادات الإسلام نفسها تتضمن ممارسة الرياضة ممارسة منظمة، في غير إجهاد أو إرهاق.

وقد مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسْلَم ينتضلون بالسوق، فقال النبيُّ، صلوات الله وسلامه عليه: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً. ارموا وأنا مع بني فلان». فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال

(١) سورة المائدة، آية: ٩٠.

رسول الله ﷺ: «مالكم لا ترمون؟» فقالوا كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال الرسول ﷺ: «ارموا فأنا معكم كلكم[1]».

وعن عقبة بن عامر، قال رسول الله ﷺ: «**ارموا، واركبوا. وأن ترموا خير من أن تركبوا**».

وقال: «**كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطل، إلا ثلاثاً: رميه عن قوسه، وتأديبه لفرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق**[2]».

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «**من علم الرمي ثم تركه فليس منا**».

وقال ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3]. «**ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي. ألا إن القوة الرمي**[4]».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سابقني رسول الله - ﷺ - فسبقته. فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني، فقال: هذه بتلك[5]».

وعن محمد بن علي بن رُكانة: أن ركانة صارع النبيّ ﷺ، وصرعه النبي ﷺ»[6].

---

(١) رواه أحمد والبخاري.
(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن.
(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٠.
(٤) رواهما أحمد.
(٥) رواه أحمد وأبو داود.
(٦) رواه أبو داود.

وعن أبي هريرة قال: «بينا الحبشة يلعبون عند النبي بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصباء[1] فحصبهم بها، فقال ﷺ: «دعهم يا عمر»، وكان ذلك في المسجد.

«ولعبت الحبشة كذلك لما قدم المدينة بحرابهم ابتهاجاً بقدومه وفرحاً به»[2].

وعن أنس قال: «كان للنبي، ﷺ، ناقة تسمى العصباء، وكانت لا تُسْبَق. فجاء عربي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سُبِقَت العصباء.

فقال الرسول ﷺ: «**إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه**[3]».

٤ ـ وفي العلاج، يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

«**تَدَاوَوْا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد، الهرم**[4]».

* * *

---

(١) الحصباء: الحصى الصغير.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد والبخاري.

(٤) رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي.

# إعداد الفرد عقلياً

١ - والمقصود بإعداد الفرد عقلياً أن يكون سليم التفكير، قادراً على النظر والتأمل. يستطيع أن يحكم على الأشياء حكماً قوامه الصدق والعدل، ويمكنه أن يفهم البيئة التي تحيط به كما يمكنه أن يفيد من تجاربه وتجارب الآخرين.

٢ - والإنسان حين يأتي إلى هذه الحياة يأتي مجرداً عن العلم والمعرفة وإن كان مزوداً بالاستعداد والقوى والأدوات التي يمكن بها أن يعلم ويعرف. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١].

فالسمع والبصر والعقل هي الأدوات التي يكتسب بها الإنسان معلوماته. وهي المنافذ التي يُطِلُّ منها على هذا الكون الفسيح، ليعرف أسراره، ويدرك شؤونه، وينتفع بما أودِع فيه من بركات الله.

والذين لا ينتفعون بهذه الأدوات قد انسلخوا من إنسانيتهم.

---

(١) سورة النحل، آية: ٧٨.

وانتظموا في عداد الحيوانات، حيث فاتهم العلم كمقوِّم لشخصياتهم. يقول الله سبحانه:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (1).

٣ - وأسباب العلم هي:

(أ) القراءة.

(ب) النظر والتأمل في ملكوت الله.

(ج) السير في الأرض.

فهذه هي التي تمد الإنسان بالكثير من العلم الصحيح والمعرفة النافعة. وكثيراً ما يلفت الإسلام إليها الأنظار، ويوجه لها العقول.

ففي القراءة، يقول الله سبحانه:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (2).

ويقول الله:

﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (3).

---

(1) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.
(2) سورة العلق: الآيات ١، ٢، ٣، ٤، ٥.
(3) سورة القلم، آية: ١.

وقد جعل الرسول ﷺ فكاك الأسير الذي لا يملك الفداء أن يعلِّم عشرة من أولاد المسلمين القراءة والكتابة. وكان ذلك في غزوة بدر.

وفي النظر والتأمل يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ويقول تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[2].

ويقول تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ﴾[3].

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4].

---

(١) سورة يونس، آية: ١٠١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٥.

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران الآيتان ١٩٠، ١٩١.

وقد قرأ رسول الله - ﷺ - هذه الآية ثم قال:

**«وَيْلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر».**

وفي السياحة والسير في الأرض يقول الله سبحانه:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١).

ويقول الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

٤ - ولا يكتفي الإسلام بالإرشاد إلى أسباب العلم، ووضع المنهج الصحيح للوصول إلى الحقائق، ولكنه يدفع الإنسان دفعاً إلى تحصيله واكتسابه والاستزادة منه بقول الله سبحانه:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (٣).

وكان الرسول - ﷺ - بعد نزول هذه الآية يدعو الله فيقول:

**«اللهم علِّمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني، وزدني علماً، والحمد لله على كل حال».**

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

وإنما يطلب الإنسان المزيد من العلم دون غيره من شؤون الدنيا، لأن من أوتي العلم فقد جمع الخير من أطرافه.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[١].

والدنيا لا وزن لها بالقياس إلى العلم؛ يقول الرسول ﷺ: «**الدنيا ملعونة؛ ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً**[٢]».

ولهذا السبب نفسه كان الحسد الذي هو بمعنى الغبطة، وتمني مثل ما للغير، مما يرحِّب به الإسلام في هذا الباب.

يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

«**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فَسَلَّطه على هَلَكَتِهِ في الحق. ورجل آتاه الله الحكمةَ فهو يَقْضي بها ويعلِّمها**[٣]».

ويقرر الإسلام أن غاية الرسالة الإسلامية هي تلاوة آيات الله على الناس، وتزكيتهم بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، وتعليمهم الكتاب والحكمة.

يقول الله سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن.

(٣) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

والعالم والجاهل لا يستويان، لا في المنزلة عند الله، ولا في الوجاهة عند الناس، ولا في فهم قيمة الحياة.

يقول الله سبحانه:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢). فالعالم له قدره، ومنزلته، ومكانته.

ويقول الله سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ (٣).

أما الجاهل فهو مطموس البصيرة. منقوص القدر.

يقول الله سبحانه:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (٤).

ومثلهما مثل البصير والأعمى. هل يستويان مثلاً؟

يقول الله سبحانه:

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) سورة المجادلة (قد سمع)، آية: ١١.

(٤) سورة الروم، آية: ٥٩.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ (١).

والذي لا يعرف للعالم قدره لا حق له في شرف الانتساب إلى هذا الدين. يقول الرسول - ﷺ -:

**«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّر كبيرنا، ويعرف لعالِمنا حقَّهُ».**

والله سبحانه يعتد بشهادة العلماء على أكبر حقيقة من الحقائق الإلهية. وينزلها المنزلة التي تلي شهادة الملائكة.

يقول الله سبحانه:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ (٢).

ويضم سبحانه وتعالى إلى شهادتهم:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (٣).

والعلم هو ميراث النبوة. فعن أبي الدرداء، رضي الله عنه، أن رسول الله - ﷺ - قال:

**«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطلب العلم رضاً بما يصْنع. وإن العلماء**

---

(١) سورة الرعد، آية: ١٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٣) سورة الرعد، آية: ٤٣.

**ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم توَرِّث درهماً ولا ديناراً، وإنما وَرَّثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**[1].

والساعي في تحصيل العلم واكتسابه مجاهد في سبيل الله. فعن أنس، رضي الله عنه، أن الرسول ـ ﷺ ـ قال:

**«من خرج ليطلب باباً من العلم فهو في سبيل الله حتى يَرْجع»**[2].

والعلماء الذي يحملون الخير للناس يستحقون كل إكبار وإجلال، وينالهم من عناية الله وبركاته ما لا يخطر على قلب بشر. فعن أبي أمامة أن الرسول ـ ﷺ ـ قال:

**«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوت ليُصَلُّون على مُعلم الناس الخير»**[3].

وهم خلفاء النبوة الذين تحفهم الرحمة، وتغشى وجوههم النضارة. يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

**«رحم الله خلفائي! قالت الصحابة: ألسنا خلفاءك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإنما خلفائي الذي يأتون بعدي ويتعلمون سنتي ويعلِّمونها الناس»**.

ويقول ﷺ:

**«نضَّرَ الله أمرءاً سمع مقالتي فوعاها، ثم أدَّاها كما سمعها. فرُبَّ مبَلَّغ أوعى من سامع»**[4].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.
(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(٤) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وطبيعة المؤمن التطلع إلى المزيد من العلم، وأنه نهمٌ لا يشبع منه قط. فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

**«لن يَشْبَعَ المُؤمِنُ من خير يسمعه حتى يكونَ منتهاه الجنة»**[1].

٥ ـ والإسلام إنما ينوه بالعلم، ويرفع من شأنه، ويدفع أهله إليه لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والنافع والضار، فهو للعقل كالنور للعين، لا يستغنى عنه بحال.

ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه.

وعلى قدر أخذ الأمم به يكون نهوضها الحضاري، ورقيها الصناعي وازدهارها التجاري، ونموها الزراعي، واتساعها العمراني.

وهو الذي يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال، جديرة بأن ينعم بها الإنسان ويسعد. فعن معاذ، رضي الله عنه، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

**«تعلَّموا العلمَ فإن تعلُّمه لله خشية، وطلبَه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمَه لمن لا يعلمُه صدقة، وبذلَه لأهله قُرْبَة، لأنه معالمُ الحلالِ والحرام، ومنارُ سُبُل أهل الجنة، وهو الأنيس في الوحشة، والصاحبُ في الغربة، والمحدِّث في الخَلْوة. والدليلُ على السرّاء والضرّاء، والسلاحُ على الأعداء، والزَّيْنُ عند الأخلاء. ويرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تُقْتَفى آثارُهم، ويُقْتَدى بفعالهم، ويُنْتهى إلى**

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن.

**رأيهم. ترغب الملائكة في خُلتهم وبأجنحتها تمسحُهم، ويستغفرُ لهم كل رطبٍ ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباعُ البر وأنعامُه. لأن العلمَ حياةُ القلوب من الجهل. ومصابيحُ الأبصار من الظلم. يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتفكير فيه يعدِلُ الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام، وبه يُعْرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعملُ تابعهُ. يُلْهَمُه السعداء، ويُحْرَمُه الأشقياء»[1].**

٦ - والعلم الذي يطلبه الإسلام هو:

(أ) الوحي: كتاباً وسنة، عقيدة وشريعة، وفي هذا يقول الرسول ﷺ:

**«العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة».**

وفي العقيدة يقول الله سبحانه:

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2].

وفي الشريعة يقول الرسول ﷺ:

**«طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم ومسلمة».**

والعلم المفروض هو العلم الذي طلب العمل به. فالعلم بأحكام الصلاة فرض، ومعرفة الحلال والحرام فرض، وهكذا كل ما وجب عمله وجب العلم به.

---

(١) رواه ابن عبد البر في كتاب بإسناده إلى النبي ﷺ ورواه موقوفاً على معاذ رضي الله عنه.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

وأية عبادة لا تبنى على علم ومعرفة فهي عبادة باطلة، لا تقبل بحال أبداً.. (فالله لم يُعْصَ بمعصية أشدَّ من معصية الجهل).

وكان الإمام علي يقول: «قصم ظهري اثنان: جاهل متنسك وعالم متهتك».

(ب) وما وراء ذلك من علوم الكون فهو مما يدعو إليه الإسلام ويحث عليه، لتعرف سنن الله في الكون، وأسراره في الخلق، وحكمته في الوجود.

ولنتدبر هذه الآيات التي يقولها الله سبحانه وتعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾[1].

ويقول الله سبحانه:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[2].

ويقول الله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ

(١) سورة ق، الآيات: من ٦ إلى ١١.
(٢) سورة الروم، آية: ٢٢.

وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (1).

ويقول الله سبحانه:

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (2).

ويقول الله سبحانه:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ (3).

ويقول الله سبحانه:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ (4).

ويقول الله سبحانه:

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (5).

---

(1) سورة فاطر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(2) سورة الروم، آية: ٥٠.

(3) سورة النور، الآيتان ٤٣ و٤٤.

(4) سورة الطارق، الآيات: ٥، ٦، ٧.

(5) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ويقول جل شأنه:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾[1].

ويقول الله سبحانه:

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٥٣ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ۝٥٤﴾[2].

ويقول سبحانه وتعالى:

﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾[3].

أليس في هذه الآيات ما يقطع بأن تحصيل علوم الكون من طبيعة، وحياة، ونبات، واجتماع، ونفس، وتاريخ، من لب الإسلام وصميمه؟

(ج) وبالإضافة إلى هذا. إن الله سبحانه أخبر في أكثر من آية، إنه سبحانه سخَّر ما في السموات وما في الأرض جميعاً.

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ٥، ٦.
(٢) سورة فصلت الآيتان ٥٣، ٥٤.
(٣) سورة غافر، آية: ٢١.

والتسخير هو التهيئة للانتفاع بها. وهل ينتفع بها مع الجهل بها والغفلة عنها؟

إن الانتفاع بها لا يأتي عفواً، وإنما يتم بعد علم صحيح بوسائل الانتفاع، ومعرفة طرقه وأسبابه.

(د) وأخيراً، فإن علماء الإسلام قد اتفقوا على أن تعلم الفنون والعلوم التي تقوم بها الصناعات، والتي لا غنى للناس عنها ـ ولا سيما الفنون العسكرية ـ واجب كفائي، إذا قام به البعض سقط الحرج والإثم عن الأمة كلها، وإذا أُهمل أثم الكل، وحوسبوا عليه الحساب العسير. وقد تبع العلماء في ذلك القاعدة العامة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

* * *

# إعداد الفرد خلقياً

المقصود بالإعداد الخلقي أن يكون الإنسان جياش العواطف كبير القلب. ينبسط للخير، ويفرح به، ويحرص عليه. وينقبض عن الشر ويضيق به، ويفر منه. وهذا هو جوهر الإيمان، وفي الحديث الصحيح: **«إذا سرَّتْك حسنتُك وساءَتْك سيّئتُك فأنت مؤمن»**.

ويمكن تلخيص وجهة الإسلام من ناحية تربية الإنسان تربية خلقية فيما يلي:

١ - إن الإنسان خُلق مُزوّداً بقوى واستعدادات يمكن أن توجّه إلى الخير كما يمكن أن توجه إلى الشر. وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى، وإرادة الشر في البعض الآخر أقوى، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا الله.

وفي الحديث: **«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»**.

وليست إرادة الإنسان مفطورة على الخير المحض ولا على الشر المحض. يقول الله سبحانه:

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[1].

(١) سورة الإنسان، آية: ٣.

ويقول سبحانه:

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾[1].

٢ ـ وكل إنسان مسؤول عن تهذيب نفسه وإصلاحها. يقول سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[2].

ويقول سبحانه:

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤﴾[3].

ويقول سبحانه:

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[4].

ويقول سبحانه:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾[5].

٣ ـ وتزكية النفس وإصلاحها هو سبيل الفلاح، كما أن إهمالها هو السبيل إلى الخيبة والخسران. يقول الله سبحانه:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[6].

---

(١) سورة البلد الآية ١٠.

(٢) سورة الشمس الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠.

(٣) سورة القيامة، آية: ١٤.

(٤) سورة الطور، آية: ١٩.

(٥) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٦) سورة العصر،الآيات: ١ و٢ و٣.

ويقول سبحانه:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [1].

٤ ـ وإصلاحها يتمثل في التخلص من الهوى وكبت الشهوة، والارتفاع عن المادة، والسمو عن النقائص الخلقية.

فإن الهوى داعية الشر والفساد، وصادٌّ عن الحق والخير، وصارفٌ عن الهدى والرشاد.

يقول الله سبحانه:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [2].

يقول سبحانه وتعالى:

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [3].

يقول سبحانه:

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ...﴾ [4].

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٣) سورة ص، آية: ٢٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآية، ٧١.

ويقول سبحانه:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٠﴾ (١).

٥ ـ والتخلص من الهوى يحتاج إلى مجاهدة شاقة، وصبرٍ ومصابرة، فإن طريق الوصول إلى الكمال ليس مفروشاً بالورد ولا الرياحين.

يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

**«وحُفّتِ النّارُ بالشّهواتِ وحَفُتِ الجنّة بالمكارِه».**

كـذا الـمـعـالـي إذا مـا رمـت تـدركـهـا
فـاعـبر إلـيـهـا عـلـى جـسـر مـن الـتـعـب

وفطام النفس عن شهواتها يحتاج إلى مراقبة دائمة، وخوف من الله ويقظة من الضمير يقول الله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ (٢).

وفي الحديث، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

**«المجاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نفسَهُ في ذاتِ الله».**

والعبادات هي التي تجدّد الإيمان بالله، وتحيي الضمير، وتعصم الإنسان من الانزلاق الخلقي، وتحفظه من نفسه الأمارة بالسوء.

---

(١) سورة القصص، آية: ٥٠.

(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

يقول الله تعالى:

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ﴾[1].

٦ ـ والقدوة الطيبة والأسوة الحسنة لها شأن كبير، وأثر بعيد المدى في نفس الإنسان، وفي نجاحه في الحياة، إذ هي علم هادٍ يشير إلى المثل الحي، والفضيلة المجسمة، وعرضٌ للنماذج البشرية الصالحة التي يراد محاكاتها والاقتداء بها؛ وقد أمر الله نبيه أن يقتدي برسل الله الذين تقدموه فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[2].

وجعل للمسلمين مثلاً أعلى، وهو رسول الله الذي جمع ما تفرق في غيره من الصدق والوفاء والشجاعة والكرم والإيثار وسائر خلال الخير، فقال:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3].

٧ ـ واختيار الأصدقاء الذين يعينون على الخير، ويرشدون إليه، مما يهتم له الإسلام، ويحرص عليه أشد الحرص. إذ الإنسان يفيد بمعاشرة الأصدقاء كثيراً مما هو في حاجة إليه من جميل الخصال، وتهذيب السلوك، وصقل النفس.

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.
(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٠.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

والإسلام يدعو إلى مصادقة الأخيار ومجانبة الأشرار فيقول:

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

ويقول الرسول ﷺ: **«الرَّجُلُ عَلى دينِ خليلِهِ فلْيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»**[2] ويقول: **«لا تُصاحِبْ إلا مؤمِناً ولا يَأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِي»**[3].

وعن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، أن النبي - ﷺ - قال:

**«إنّما مَثَلُ الجليسِ الصَّالح والجليسِ السُّوء كحَامِلِ المِسْك ونَافِخِ الكيرِ[4] فحَامِلُ المِسْكُ إمّا أنْ يُحْذيكَ[5] وإمّا أن تَبْتَاعَ منه، وإمّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ إمّا أن يُحْرِقَ ثيابَك وإمّا أن تَجِدَ مِنهُ ريحاً خَبيثةً[6]»**.

وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى ما ينبغي أن يكون عليه الصديق فقال: **«صاحِبُوا مَنْ تُذَكّرُكُمُ الله رُؤيَتُهُ، ويَزيدُ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقهُ»**.

ويبيِّن أن واجبه يفرض عليه أن يكون قوة عاملة تضاف إلى قوة أخيه في العمل، وتقتضيه أن يكون دافعاً وحافزاً له إذا لاحظ عليه شيئاً من الغفلة والكسل. فقال - ﷺ -:

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) رواه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة.

(٣) رواه حمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن أبي سعيد.

(٤) نافخ الكير: هو الحداد الذي ينفخ على النار بالكير: آلة النفخ.

(٥) يحذيك: يعطيك.

(٦) رواه البخاري ومسلم.

**«خَيْرُ الإخْوَانِ مَنْ إذا ذَكَرْتَ أعَانكَ، وإذا نَسِيتَ ذَكَّرَكَ»**.

وأوصى علقمة ابنه فقال: «يا بنيَّ إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤونة مانك؛ اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سترها. اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك. اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت أمراً آمراً، وإن تنازعتما آثرك».

٨ ـ والبيئة هي التي تصوغ الإنسان في قالبها وتطبعه بطابعها، فكل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصّرانه، أو يمجّسانه.

وقد عمل الإسلام جاهداً على أن تكون البيئة التي ينشأ فيها الفرد بيئة تقية نقية، تتحقق فيها الفضائل، ويحترم فيها المعروف، وتتناول فيها الآداب، على أنها أوضاع مقررة، وعرف عام.

دعت امرأة ولداً لها فقالت له: تعال أعطك تمرة، فسألها رسول الله: هل ستعطيه التمرة كما قالت، أم أنها تذكر ذلك ليحضر إليها؟ فأجابت إنها ستعطيه التمرة، وأنها صادقة في قولها ثم سألت: أيعد ذلك كذباً لو لم تعطه؟ فقال: **«نعم، إنّ الله يكتُبُ الكِذْبَةَ والكُذَيبة»**.

٩ ـ ورقابة الرأي العام على كل فرد من أفراد الأمة لها أثرها في المحافظة على سلامة المجتمع، وبقاء التقاليد الصالحة التي تحفظ كيان الأمة وتبقي على مشخصاتها.

والإسلام يوجب هذه الرقابة، ويجعل كل فرد مسؤولاً بحكم عقد الولاية الذي جمع الله به بين المؤمنين:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1].

وخيرية هذه الأمة بسبب محافظتها على هذه الرقابة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾[2].

١٠ - والإسلام من جانب آخر يبرز قيمة الفضائل، ويشيد بالمبادىء السامية وآثارها الفردية والاجتماعية، كما ينهى عن الرذائل والنقائص ويظهر آثارها الضارة في حاضر الإنسان ومستقبله.

ولو حاولنا أن نستعرض هذه الجوانب لطال بنا الحديث ولكن نشير إلى بعض الأمثلة:

ففي العفاف يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾[3].

وفي الصدق في ميادين البطولة والتضحية يقول تعالى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.
(٣) سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١.
(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

وفي الأمانة والوفاء يقول الرسول ﷺ:

**«لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانَةَ لَهُ، ولا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ».**

وفي الشجاعة، وقوة الإرادة، والفناء في سبيل الحق والعقيدة يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[1].

وفي الطاعة يقول تعالى:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾[2].

وفي الخشوع يقول تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[3].

ويقول: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[4].

وفي الحرص على الترقي يقول تعالى:

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) سورة النور، آية: ٥١.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٤) سورة الحديد، آية: ١٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

ويقول الرسول: **«احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ»**.

وفي الإخاء يقول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [1].

وفي الحب يقول الرسول:

**«لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حتى يُحِبّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**.

وفي الإيثار يقول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [2].

وفي الأمن يقول الرسول:

**«المؤمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ على دِمائِهِمْ وأَمْوالِهِمْ»**.

ويقول: **«والذي نَفْسي بيَدِهِ لا يُسْلِمُ عَبْدٌ حتَّى يُسْلِمَ قَلْبُهُ ولِسَانُهُ ولا يُؤمِن حتَّى يأمَنَ النَّاسُ بوائِقَهُ. قيل: وما بوائقه يا رسول الله؟ قال: غَشْمُهُ وظُلْمُهُ»**.

وفي التواضع والحلم يقول تعالى:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [3].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

وفي المجاهدة يقول تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾[1].

وفي النهي عن الاستهزاء وسوء الظن، واللمز والتنابز بالألقاب والتجسس. والغيبة يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[2].

ومن أجمع الآيات والوصايا ما جاء في سورة الإسراء:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الحجرات، الآيتان: ١١، ١٢.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًۭٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾[1].

وقال معاذ، أوصاني رسول الله - ﷺ - فقال:

**«يا معاذ، أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وخفض الجناح، وأنهاك: أن تسب حكيماً، أو تكذب صادقاً، أو تطيع آثماً، أو تعصي إماماً عادلاً، أو تفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة: السر بالسر، والعلانية بالعلانية».**

---

(١) سورة الإسراء، الآيات": ٢٣ - ٣٩.

وقال عليّ، رضي الله عنه:

«يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً. فلو كان لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة».

فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ـ ﷺ ـ؟ فقال: نعم، وما هو خير منه، ذلك أنه لما أتي (بسبايا طَيّىء) وقعت جارية في السبي، فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب؛ فإني بنت سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني[1]، ويشبع الجائع، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم الطائي!!

فقال ﷺ: «يا جاريةُ، هذِهِ صفَةُ المؤمنينَ حقاً؛ ولو كان أبوكِ مُسلماً لتَرَحَّمْنا عليه. خَلُّوا عَنْها فإنَّ أباها يُحِبُّ مكارِمَ الأخْلاقِ، وإنَّ الله يُحِبُّ مكارِمَ الأخلاقِ. فَقَامَ أَبُو بُرْدة بنُ دنيَّار فقال: يا رسول الله، الله يُحِبُّ مكارِمَ الأخْلاق؟ فقال ﷺ: **والَّذي نَفْسي بِيدِهِ، لا يَدْخُلُ الجنَّة إلا حَسَنُ الأخلاقِ**».

هذه هي خلاصة وجهة الإسلام في تربية الفرد وإعداده كي يكون:

قويَّ البدن، يعمل ويكدح؛

صحيحَ العقل، يعي ويفكر؛

صاحبَ عواطف نبيلة، ومشاعر حية، ينفعل بالخير، ويجعله أعلى هدف له في الحياة.

---

(١) العاني: الأسير.



# تهذيب السلوك

عن أبي سعيد الخدري، قال: «جاء رجل إلى النبي، ﷺ، فقال: أوصني. قال: **«عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين. وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذكر في السماء. واخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان»**.

تهذيب سلوك الأفراد، وتوجيههم نحو المثل الأعلى ـ هو الأسلوب الصحيح لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدور خطير في الحياة وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو أنفع وأرشد.

والدين بما له من سلطان على النفوس والقلوب، وتأثير على المشاعر والأحاسيس، وبما وضع من خطط عملية، وتوجيهات حكيمة، يستطيع أن يحقق هذه الغاية، ويبلغ هذا القصد دون تعثر أو انحراف.

والدين في جملته وتفصيله ما هو إلا إرشاد لما يجب أن يكون عليه الإنسان ليأخذ من الكمال بحظ وافر في هذه الحياة. وليعد نفسه لجوار ذي الجلال في حياة وأبقى وأرقى.

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده تتجلى هذه الحقيقة وتظهر بوضوح.

١ ـ ففي الأمر بملازمة التقوى، أمر باتباع كل خير، ومجانبة كل شر. إذ أن التقوى ـ بمفهومها اللغوي ومدلولها الشرعي ـ لا تحتمل غير هذا المعنى، فهي مأخوذة من الوقاية بمعنى الحفظ.

والإنسان لا يقي نفسه ولا يحفظها إلا إذا أتى بما أمر الله به من فضيلة، واجتنب ما نهى الله عنه من رذيلة.

وفي هذا سمو للنفس، وعروج بها في معارج القدس والكمال.

ومن ثم عظم الشارع أمر التقوى، وجعلها جماع كل خير، ومصدر كل بر، وأصل كل صلاح للأفراد والجماعات.

ولا بد لتحصيل التقوى، من فقه في دين الله، ومعرفة ما فيه من سمو وحكمة.

يضاف إلى ذلك قوة إرادة ومضاء عزيمة لحمل النفس على الاضطلاع بالتبعات والتكاليف.

وبالمعرفة من جانب، والإرادة الحازمة من جانب آخر، يستطيع المرء أن يبصر الطريق، ويسير على الجادة دون تعثر أو انحراف.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذين الأمرين في معرض الثناء على بعض الأنبياء، قال سبحانه وتعالى:

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾[1].

---

(١) سورة ص، آية: ٤٥.

أي أنهم أولو قوة في الدين، وبصرٍ به.

وفي الحديث، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

**«ولن يبلغ أحدكم أن يكون من المتَّقين حتى يدع ما لا بأس به، حذراً مما به بأس».**

٢ ـ ولا يكفي أن يجاهد الإنسان نفسه من أجل حملها على الفضيلة وأخذها بها.

بل لا بد من الجهاد، من أجل استقرار هذه المبادىء الكريمة والتمكين لها حتى تكون هي القاعدة العامة، والعرف، الذي يتقيد الناس به ويصدرون عنه.

وهذا هو المعبَّر عنه بالجهاد في سبيل الله.

وسبيل الله هو الطريق الموصل إلى مرضاته.

وهذا الجهاد يقتضي التضحية بالنفس والمال وكل عزيز وغال.

لأن محاربة الانحراف، والشذوذ، والعادات السيئة، والتقاليد الفاسدة، والأهواء المُضِلّة، والعقائد الزائفة، ليس بالأمر السهل الذي يتم بكلمة تذاع، أو مقال ينشر.

ومن أجل ذلك أطلق الشارع على محاربة المنكر ومحاولة تغييره لفظ «الجهاد»، المأخوذ من الجهد والمشقة، وجعل ثواب المجاهدين المغفرة والجنة.

وقد أراد نبيُّ الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يبين في هذا الحديث حقيقة الرهبانية، وأنها ليست اعتزال الناس ولا الانطواء على النفس؛ ولا هجر ما أحل الله من الطيبات من الرزق، ولا ترك ما

أباحه من متع الحياة؛ وإنما هي تضحية كريمة من أجل الحق، واقتحام للشدائد في سبيل الإنسانية، وتحمل للتبعات الجسام إعلاءً لكلمة الله.

هذه هي معنى الرهبانية في الإسلام، وأنها عمل إيجابي، ومخاطرة يتعرض الإنسان فيها لإتلاف نفسه، وإزهاق روحه، أداءً للواجب وانتصاراً للحق.

أما معنى الرهبانية السلبيّ فليس من الإسلام في شيء، لأنه لا يجلب خيراً ولا يمنع شراً، **«لا رهبانية في الإسلام»**.

٣ ـ وكثيراً ما تعتري النفس الغفلة، ويعرض لها الذهول والنسيان، فهي في حاجة إلى من يذكّرها إذا نسيت، وينبهها إذا غفلت، ويوقظ فيها حاسة الخير لتنبعث إلى غايتها، دون توقف أو إبطاء. وليس أنفع لها، ولا أجدى عليها من تلاوة كتاب الله، ومداومة الذكر، فهما ربيع القلوب، وجلاء الأحزان والهموم.

إذا مرضنا تداوَيْنا بذكركم

ونترك الذكر أحياناً فننتكس

وذلك أن مناجاة الله عن طريق التلاوة والذكر تقوِّي العزائم وترهف المشاعر والأحاسيس، وتسمو بالإنسان إلى الذروة من الروحانية والكمال؛ فيبدو الإنسان إنساناً متكاملاً، هيناً، ليناً، متفائلاً، لا يني عن الخير، ولا يقصّر عن غاية.

٤ ـ وهذه المعاني الكريمة، والوصايا الحكيمة، لا ينظم أمرها إلا إذا ضبط الإنسان نفسه وملك لسانه. فما كان من خير نطق به، وما كان من شر سكت عنه.

**«رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم، أو سكت فسلم»**[1].

وكثير من الناس تخونهم ألسنتهم، فيكثرون من القيل والقال ويخوضون فيما ينبغي لهم أن يتنزهوا عنه، ويذيعون مقالة السوء، ويحرّفون الكلم عن مواضعه، دون مراعاة لأدب القول، ولا محافظة على أعراض الناس، ولا مراقبة لله، فضلاً عن ضياع أوقاتهم وأوقات غيرهم فيما لا طائل تحته ولا غناء فيه.

وهؤلاء الثرثارون لا يرجى خيرهم، ولا يؤمن شرهم، ولا يستحقون إلا الازدراء والتحقير؛ فهم قذى العيون، وشجى الحلوق.

يقول رسول الله - ﷺ -: **«وهل يَكُبُّ النَّاسَ يوم القيامة على وجوههم إلاّ حَصائِدُ ألسنته»**..

ويقول أيضاً: **«إن أبعدكم منِّي مجالس، يومَ القيامة، الثرثارون المتفيهقون! قال: المتكبرون»**.

هذه هي المعاني الطيبة التي جاء بها الإسلام، والتي اتخذها سلفنا الصالح منهجاً عملياً لسلوكهم، فعاشوا في ظلها سعداء آمنين. قدموا للدنيا أحسن ما عندهم، وأخذوا منها أحسن ما فيها.

ثم خلف من بعدهم خلف جرّدوا هذه الألفاظ من معانيها، فبقيت ألفاظاً ميتة لا تحيي نفساً، ولا تنير قلباً، ولا تهذب خُلقاً.

فهل للمسلمين أن يحيوا هذه الألفاظ بإحياء معانيها في نفوسهم، حتى يهب الله لهم الجدة والحياة؟..

---

(١) حديث صحيح.



# دستور المسلم

عن أبي ذرٍّ، رضي الله عنه، أن النبي - ﷺ - قال:

**«من أصبح وهمُّه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بالمسلمين فليس منهم، ومن رضي الذلّة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا».**

يرشد الرسول - ﷺ - في هذا الحديث إلى أمور ثلاثة، هي قوام حياة المسلم، ودستوره الذي يجب عليه أن يترسمه ويعيش في ظله.

## الأمر الأول:

أنْ لا يُعنى بأمر الدنيا، ولا يهتم بها اهتماماً يصرفه عن القيم الروحية من الإيمان، والعبادة، والفكر، والذكر، والخلق الفاضل، والأدب الرفيع.

فإن الغاية من الحياة هي تزكية النفس بمعرفة الله وعبادته، وتقوية العلاقات الطيبة بين الناس بالحب والعدل والمؤاخاة.

وليس ثمة شك في أن الاهتمام بالشهوات، والاستجابة للأهواء، والتوسع في لذائذ الجسد، والافتتان بها؛ من شأنه أن يعرض النفس

لأقتل أدوائها، وينحرفَ بها عن معاني الخير إلى رذائل الصفات ومساوىء الأخلاق.

وحينما ننظر إلى التطاحن والصراع بين الأفراد والأمم والشعوب ندرك لأول وهلة أن سبب ذلك يرجع إلى الأثرة، والحرص على نيل أكبر قسط من الأسلاب والمتع والغنائم.

ولهذا جاء الإسلام يحذِّر من التكالب على الدنيا والتزيُّد منها؛ فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام:

**«إن الدُّنيا حُلْوةٌ خِضرَةٌ، وإنَّ الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فناظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**[1].

وكثيراً ما كان ينتهز الرسول ـ ﷺ ـ الفرص ليبين لأصحابه حقيقة الدنيا، ولا يدعها تمر دون أن يلفت إليها الأنظار.

مرَّ هو وأصحابه يوماً بشاة ميتة فقال لهم:

ـ أرأيتم هذه هانت على أهلها؟

قالوا: ومن هوانها ألقوْها يا رسول الله.

فقال: للدُّنْيا أهون على الله من هذه على أهلها.

وقد أطال القرآن الكلام على الدنيا مبيناً حقيقتها، وضارباً لها الأمثال زيادة في البيان: ـ **«ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيى مَنْ حيّ عن بينة»**.

---

(١) رواه مسلم.

قال:

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾[1].

وطبيعي أن الإسلام حينما أوضح هذا المعنى لم يكن يقصد إلا ليحمي أتباعه من الشر، ويصونهم من الفساد، ويحفظ قلوبهم من أن يخالطها ما يذهب بحلاوة الإيمان ونور العرفان.

ولقد أشار الرسول - ﷺ - إلى هذا المعنى فقال:

**«والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»**[2].

ولم يكن يقصد أن يدع أتباعُه الدنيا، ويعتزلوا الحياة، ويعيشوا كما يعيش الرهبان. فكتابه الكريم يقول:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[3].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ

(١) سورة الحديد، آية: ٢٠.
(٢) رواه البخاري.
(٣) سورة الجاثية، آية: ١٣.

﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [١].

فتسخير هذه النعم والتفضل بها يقتضي استغلالها والانتفاع بها على خير وجه، مما ينافي الاعتزال والرهبانية التي تشل حركة الحياة وتوقف سيرها.

ورسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، يدعو إلى العمل والكفاح في سبيل العيش الحلال، ويجعل ذلك من الجهاد المبرور؛ فيقول رسول الله - ﷺ -:

**«من أمسى كالاً على عياله أمسى مغفوراً له».**

ورأى جماعة من أصحاب رسول الله - ﷺ - شاباً جلداً فقالوا:

لو كان جَلدُ هذا في سبيل الله؟

فقال رسول الله - ﷺ -:

**«إن كان خرج يسعى على أولاد له صغار فهو في سبيل الله.**

**وإن كان خرج يسعى على أبويه فهو في سبيل الله.**

**وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله.**

**وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان»** [٢].

وليس أبلغ من أمر رسول الله - ﷺ - الفقيرَ بأن يذهب إلى جبل فيحتطب فيبيع ما جمع من حزم الحطب، ويذكر أن ذلك خير له من أن يعيش عائلاً يتكفف الناس.

---

(١) سورة إبراهيم، آيات: ٣٢، ٣٣، ٣٤.

(٢) رواه الطبري.

ولا أبلغ من قوله: **«ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»**[1].

ومما ينبغي التنبيه إليه أن بعض العلماء فهم هذه النصوص فهماً خاطئاً فدعوا إلى التزهيد في الدنيا، وتحريم ما أباحه الله من الطيبات من الرزق. وتبعهم كثير من الكسالى والمتجرين باسم الدين، فتركوا العمل وقعدوا عن اقتحام الصعاب في سبيل الكسب الحلال، فلحقهم الفقر وصحبتهم المسكنة، فكانوا صوراً تائهة للإسلام، مما تسيب عنه أن ارتفع بعض الأصوات المنكرة يقول:

«إن الدين لا يصلح لمسايرة الحياة، وإنه يقف حجر عثرة في طريق المدنية والتقدم».

إننا نكرّر أن على المسلمين أن يجمعوا بين الدين والدنيا، وبين الروح والمادة، ليأخذوا الخير من أطرافه، وليعيشوا عيشة السعداء في هذه الحياة وينالوا الفوز في الحياة الآخرة؛ وإن السعي والعمل مما يوجبه الإسلام.

وروى الديلمي، في مسند الفردوس، أن النبيّ ـ ﷺ ـ قال: **«طلب الحلال واجب على كل مسلم»**.

وإن أعظم تعريف للزهد هو ما قاله الرسول ـ ﷺ ـ:

**«الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق مما في يديّ الله، وأن**

---

(١) رواه البخاري.

**تكون في ثواب المصيبة ـ إذا أنت أصبت بها ـ أرغب فيها لو أنها أبقيت لك».**

**الأمر الثاني:**

الاهتمام بأمر المسلمين، والعناية بشأنهم، والدفاع عنهم، والذود عن حياضهم، والعمل الدائب على ترقية حاضرهم، وإعدادهم لمستقبل أعزَّ وأكرم. فإن هذا مما يقتضيه الإيمان وتوجبه الأخوة في الدين.

يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

**«مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».**

وفي حديث مسلم: **«المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله».**

ويقول: **«المسلم للمسلم كاليدين تغسل إحداهما الأخرى».**

ويقول: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ـ وشبك بين أصابعه»** رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعريّ.

ويقول: **«المسلم أخو السلم لا يظلمه، ولا يُسلمه[1]. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»** رواه أصحاب السنن عن ابن عمر.

---

(١) يسلمه: يتركه للمكروه.

وفي حديث مسلم عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال:

**«من نفّس عن مؤمن كرْبة من كُرَبِ الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغَشِيَتْهُمُ الرحمة وحَفّتهم الملائكة، وذكرَهم الله فيمن عنده؛ ومن بطؤَ به عمل لم يسرع به نسبه».**

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: **«ليس المؤمن الذي يبيت شبعاناً وجاره جائع».**

ويوم أن كان المسلمون يحسون هذا الإحساس، ويشعرون بهذا الشعور، ويطبّقون هذه التعاليم كانت رابطتهم أقوى من أن تحل، ووحدتهم أعصى من أن ينال منها عدو.

فلما غفلوا عن هذا المعنى بدأ الضعف يدب في صفوفهم، وأخذت الفرقة تعمل عملها، مما نجم عنه أن أصبحت بلادهم نهباً للاستعمار، ومناطق نفوذ لمن لا يرقبون فيهم إلاً ولا ذمة.

وكان أن انقسم الوطن الإسلامي أشلاء ممزعة؛ وأجزاء موزعة..

وبدلاً من أن تكون الأخوة الإسلامية، والوحدة الدينية هي الرباط القويّ بين هذه الشعوب الكثيرة العدد، الواسعة الرقعة، الغنية بما وهب الله

لها من ثروات، حدثت فيهم بدعة الوطنية المحدودة المفرّقة، وما هي إلا نعرة من نعرات الجاهلية، ودعوة من دعوات العصبية التي حاربها الرسول ـ ﷺ ـ:

فقال: «**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية**».

ولئن كان ذلك جائزاً بين الأمم الكافرة التي لا تجد من الروابط الأدبية ما يجمع شتاتها غير هذه الحماقات فما يجوز ذلك بين شعوب تظللها كلمة التوحيد.

ويقول نبيُّها: «**... وكونوا عباد الله إخوانا**». ويقول: «**ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**».

**الأمر الثالث:**

ألاَّ يقبل المسلم الذل، ولا يقيم على الضيم، ولا يصبرَ على الهوان، ولا يستسلمَ للمكروه ويناله؛ بل يعتصم بالله، ويتقوّى بالحق، ويعتز بالمبادىء العليا التي يدين بها.

وليست العزة إلاّ ثمرة من ثمار الإيمان، وأثراً من آثاره؛ والله يقول:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

وما كان المؤمن ليهن أو ليضعف، وهو الموصول بالله القويّ:

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[1].

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[2].

والإيمان ينير للنفس جوانب الحياة، فينكشف لها أن الأمور بيد الله: وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وكل شيء عنده بمقدار.

وما المنصب والجاه والمال وغيرها مما يتسابق الناس إليه، ويحرصون عليه، إلا من الله الذي بيده الملك، وهو على كل شيء قدير.

فلا تخادع، ولا تداهن، ولا تذل، ولا تسلك غير السبل القويمة والطرق المشروعة، ولا تطلب الأمور إلا بعزة وشَمَم.

وإلى هذا يشير الرسول ـ ﷺ ـ فيقول: **«إن روح القدس نفث في رُوعي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»**.

وإذا لم يشرق الإيمان على النفس، ويفيض عليها هذه المعارف، فهو إيمان مدخول لا يستحق صاحبه أن ينسب إلى رسول الله، ولا يحسب في زمرة المؤمنين.

ألَم ترَ إلى قوله ـ ﷺ ـ:

**«ومن رضي الذِّلة من نفسه طائعاً غير مُكره فليس منا»**.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

هذه هي الأصول الثلاثة التي جعلها الإسلام دستوراً لكل مسلم يقيم حياته عليها، ويعيش في ظلها ليصل إلى خَيْري الدنيا والآخرة.

* * *

# الإنسان بين المادة والروح

يتكيف سلوك الإنسان في الحياة حسب نظرته إليها، وفكرته عنها.

فمن الناس من يرى أن الحياة هي هذا الواقع الماديّ الذي يدركه بصره.. ويقع عليه حسه. وأن ما وراء ذلك من عالم الروح. وما جاءت به أنبياء الله من التعاليم الإلهية، وما أخبرت به من عالم ما وراء الطبيعة، فما هو إلا ضرب من التخيل ابتدعه الوهم، وحملت عليه الظروف القاسية التي كثيراً ما تضطر الإنسان إلى أن يخلق لنفسه عالماً حالماً يعيش فيه، ويجد فيه مسلاة له، وعزاء عما فاته من هناء.

وهذا الصنف من الناس من شأنه أن يُقبل على اللذائذ، يشبع منها نهمه، ويعب منها ما وسعه أن يعب، دون أن يقيد بقيد، أو يقف عند حد إلا بالقدر الذي يعينه على إشباع غرائزه وتحقيق آماله وأطماعه.

**وقديماً قالوا:**

﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[١].

ولا يختلف منطق هؤلاء. لا في القديم. ولا في الحديث.

---

(١) سورة الجاثية، آية: ٢٤.

فالنفس الإنسانية هي النفس الإنسانية في كل زمان ومكان..

وها هي ذي أمم الحضارة المعاصرة، ترى هذه المناطق، وتنظر هذه النظرة، وتعيش في حدود هذه الفكرة، فتسخر جميع القوى لتحصل على أكبر قسط من اللذة، وأوفى حظ من الشهوة، ولو كان ذلك على حساب غيرها من الأمم والشعوب.

فكم من عزيز أذلته. وكم من حق أضاعته. وكم من دم سفكته. وكم من عهد نقضته. وكم من جرم اقترفته؟! لا لأجل غاية كريمة ولا رسالة سامية، وإنما لأجل إشباع نهمها الذي لا يشبع قط.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [١].

وكل ما نراه من الجرائم والمآثم، إنما هو نتاج هذا التفكير المادي، وثمرة الكفر بذخائر النفس الإنسانية.. وأثر من آثار التنكر للحق والاستهانة بالمثل.

ومن ثمَّ كانت هذه النظرة المادية للحياة؛ نظرة من شأنها أن تباعد بين الإنسان وفطرته الخيِّرة، وتسلخه من الطيبة والسماحة، وتميت فيه عاطفة المحبة والرحمة، وتخلق منه عدواً لنفسه، وللإنسانية؛ وتجعله شر ما يدب على الأرض:

(١) سورة الأعراف، آية: ١٠٢.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

فالآية تقرر أنهم فقدوا مصادر المعرفة، وقوى الإدراك.

فهم صمٌّ عن الحق لا يستمعون إليه، وبُكْمٌ لا ينطقون به، لأن قلوبهم في عمى عن نور الله، وفي ضلال عن هدايته.

ما حظ الأصم من سماع الغناء الجميل؟ وما نصيب الأعمى من المشاعل المضيئة؟

وإذا كان ذلك كذلك، فإن على الإنسان أن يصحح نظرته إلى الحياة، وأن يرتفع بها عن مستوى الشهوة واللذة.. ويسلك المسلك الذي يحقق إنسانيته، ويسمو بها إلى الأفق الأعلى دون أن ينسى نصيبه من الدنيا، وحظه الماديّ من هذه الحياة..

وسبيل ذلك أن يتجرد من السطحية. ويتغلغل في فهم وجوده ومعرفة شخصيته.

وكل ما بين يديه إنما يأخذه برفق ليصل به إلى هذه الحقيقة.. فالكون كله: سماؤه وأرضه، مسخَّر لمنفعته، ومذلّل لخدمته، وجارٍ على السنن التي تعينه على تحقيق أهدافه الكبرى.

وليس فيه شيء يتعارض مع كماله الذي يسعى في تحقيقه، ويجد في الوصول إليه:

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٢، ٢٣.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

وفي هذا تحقيق لسيادة الإنسان على هذا الكون المادي.

وهذه السيادة تقضي بأن يجعلها أبداً خاضعة له، مسخرةً لعقله وإرادته، لا أن تستعبده، ولا أن تستذلّه، فتنقلب الأوضاع، ويصبح الخادم مخدوماً، والعبد سيداً.. وفي هذا ما فيه من المهانة، بَلَهْ تغييرَ خلق الله.

وصيحات الحق تنبعث من خلال كتاب الله، عز وجل، تحرّك فيه إنسانيته. وتكشف له عن مواهب الله التي أودعه إياها، ليصل بها إلى أقصى ما قُدّر له من كمال..

فوحيُ الله سبحانه يقرر أنه خلق الإنسان بيديه تكريماً وتشريفاً، ونفخ فيه من روحه ليبقى مصباح الحياة فيه دائماً لا ينطفىء. وأفاض عليه من الاستعداد العقلي ما يصل به إلى الذروة في العلم والمعرفة. وهيأ نفسه لتلقِّي كلمة الله والقيام بها، ليستقر النظام الذي يريده الله لإسعاده.. وجعله خليفة عنه في إقامة الحق والعدل؛ ولم يجعل لكماله غاية سوى لقائه، والتمتع بالنظر إلى وجهه الكريم:

---

(١) سورة إبراهيم آيات ٣٢، ٣٣، ٣٤.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1].

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

وما كان الله ليعلي من شأن الإنسان، ويجعله سيداً بهذا الوجود، ويحرّك فيه هذه المعاني إلا ليكشف له عن حكمة وجوده، وسر الوظيفة التي خلق من أجلها؛ فيمضي إلى غايته في قوة، دون تريث أو استرخاء.

وهذه الغاية هي حمل أمانة هذه الحياة، والاضطلاع بتبعاتها..

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[3].

وكثيراً ما تنحرف الفطرة عن هذه الغاية، وتضل العقول عن إدراكها. إما بسبب البيئة الفاسدة، أو الجهل القاتل، أو التعصب الأعمى؛ أو إيثاراً للذة العاجلة؛ مما ينشأ عنه امتهان كرامة الإنسان ونسيان قيمته

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآيات ٣٠ ـ ٣٣.
(٣) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

العليا... ومن ثَمَّ كانت تعاليم الإسلام هي العاصمة للعقول من الضلال، والحامية للفطر من الانحراف. فإذا ترسَّمنا خُطى الإسلام واتبعنا منهجه القويم، تحققت لنا الغايات الكبرى من تحقيق إنسانيتنا في هذه الحياة، وكان لنا الحس المرهف، والضمير الحي، والعاطفة الجياشة، والإرادة المصمِّمة، واليد القوية، وتوافرت لدينا عناصر البناء الصحيح لأمة تريد أن تسهم بنصيب وافر في دعم روابط الأخوة، وتقوية دعائم العدل والسلام.

* * *

# تحرير النفس

إن أسمى صورة للنفس الإنسانية، صورتها وهي متحررة من كل لون من ألوان الخضوع والعبودية، ما عدا الخضوع والعبودية لله. وقد حرص الإسلام على أن يصل بالنفس إلى هذا التحرر الكامل وإلى هذه الصورة المثالية الفريدة:

فحررها أولاً، من ذل الخضوع وعبودية السيطرة.

وحررها ثانياً، من الخوف والقلق والاضطراب.

وحررها ثالثاً، من عبودية القيم الزائفة.

وحررها رابعاً، من الهوى والشهوة والمتاع الزائل.

أما تحريرها من الخضوع وعبودية السيطرة، فذلك بالقضاء على الوثنية في كل لون من ألوانها وفي كل مظهر من مظاهرها. فالله وحده هو الذي يملك الحياة والضرر والنفع والعطاء والمنع، وعلى البشر أن يتصلوا به مباشرة؛ فليس ثمة حجاب يحجب عنه أو مانع يحول دون الوصول إليه. وكل ما في السموات وما في الأرض مسخّر له، والناس جميعاً سواء في العبودية، لا يتميز واحد منهم عن غيره إلاَّ بالعافية والعمل الصالح، وكثيراً ما يلفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذه الحقيقة ليغرس في النفوس معناها وليعمق جذورها فيقول:

﴿قُلْ لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾[1].

فالأرض كلها لله، والسموات السبع والعرش العظيم والملكوت لله، وما عدا الله فهو مملوك ومسخّر لمشيئته وإرادته، وهو سبحانه يعطي الملك لمن يشاء وينزعه عمن يشاء، بمقتضى سننه في العطاء والمنع:

**«قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير»**.

وكما أوضح الإسلام هذه الحقيقة وعمّق جذورها في النفس أراد أن يبرزها في واقع الحياة لتكون مشهداً منظوراً يراه الناس. فرسول الله ـ ﷺ ـ وهو المعلم والقدوة بدأ بنفسه ليقضي على المخلفات التي شغلت حيزاً كبيراً في نفوس الناس وقلوبهم، فيقول:

**«احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده أمامك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف»**.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات ٨٤ ـ ٨٩.

ودخل عليه رجل فارتاع من هيبته، فقال له الرسول ﷺ:

«هوّن عليك، فلست بملك ولا جبار، وإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة».

وكان ينهى أصحابه أن يقوموا له عند اللقاء والمصافحة ويقول:

**«لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظّم بعضُهم بعضاً».**

وجاءه وفد من الوفود فقالوا له: أنت أفضلنا فضلاً وأعظمنا طَوْلاً؛ فقال لهم:

**«لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله. قالوا له: أنت سيدنا. فقال لهم: السيّد هو الله، قولوا بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان».**

ونهى الذين أرادوا أن يسجدوا له عن السجود وقال لهم: **«ما كان لبشرٍ أن يسجد لبشر، ولو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعِظَمِ حقه عليها».**

وحذَّر من كل شيء من شأنه أن يعطي للعظماء أكثر مما يستحقون، ولو بعد الوفاة، فقال:

**«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. اللهم لا تجعل قبري بعدي عيداً».**

وقال: **«لا تتخذوا قبري بعدي عيداً إني أنهاكم عن ذلك».**

وأعظم الناس منزلة من البشر هم الأنبياء والرسل، وأكرم الخلق في الملأ الأعلى هم الملائكة، ومع ذلك فلا ينبغي ولا يحل أن يتجه إليهم بأي معنى من المعاني التي تُشعِر معنى العبودية والخضوع.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1].

وبتحطيم الوثنية في كل صورها وجميع مظاهرها، وبتوجيه النفس إلى الله مباشرة، حررها من الخضوع والسيطرة لكل ما من شأنه أن يذل النفس أو ينزل بها عن مستواها الأعلى الرفيع.

وأما تحريرها من الخوف والقلق والاضطراب فقد حاول الإسلام أن يقضي على هذه المخاوف بعلاج أسبابها، فقد يكون الخوف على الحياة أو الرزق أو المنزلة أو الوظيفة. فإذا كان الخوف على الحياة فإن ذلك يتنافى مع عقيدة الإيمان، فإن الله هو واهب الحياة وهو الذي يسلبها، وقد جعل لكل إنسان أجلاً لا يستأخر عنه ولا يستقدم:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ﴾.

وكل ظن يثار حول هذه القضية فهو من ظنون الجاهلية التي تبرّأ منها الإسلام.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ

(١) سورة آل عمران، الآيتان ٧٩ ـ ٨٠.

يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾.

ومهما حاول المرء أن يفلت من قدر لله فهو ليس بقادر على ذلك ولا يستطيع إليه سبيلاً:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾.

إذاً فلا معنى للخوف على الحياة ما دامت الأعمار في يد الله وحده.

أي يومي من الموت أفر ... يوم لا قدر أو يوم قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

وإذا كان الخوف على الرزق ولقمة العيش، فإن ذلك لا يجمل بمؤمن يعتقد أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فالرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

وإن الإرض لم تمنع خيرها يوماً وإنما جهل الناس سنة الله من جانب، وظلموا غيرهم من جانب آخر، فضاقت الأرزاق بين الجهل والظلم.

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

وإذا كان الخوف والاضطراب والقلق على المكانة الرفيعة والمنزلة التي بلغها الإنسان وهو يخشى أن تنتزع منه، فإن مصير الأمور إلى الله:

﴿مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

وأما تخليصها من عبودية القيم الزائفة فذلك أن الناس درجوا على تقديس الأنساب والأحساب، وعلى إكبار الجاه والشهرة، وعلى إجلال المال والثروة، وإعطاء هذه القيم أكثر مما ينبغي لها من التوقير والإعزاز. فعمل الإسلام على وضع هذه القيم في وضعها الصحيح؛ فهي ليست قيماً ذاتية، والاتّصاف بها لا يرفع من قدر الخسيس، وفقدها لا يحط من شأن الرفيع.

فقيمة الإنسان في عمله النافع، وعمله الصالح، وأدبه العالي، وخلقه المتين، وصلته بالله، ونفعه للناس. هذه هي فضائل الإنسان الذاتية التي تصل به إلى الذروة من الكمال النفسي والسمو الروحي.

أما الحسب والنسب، والجاه والمال، فهي أعراض زائلة لا تكسب النفس زكاة، ولا تهب القلب طهراً، ولا تفيض على الروح سموّاً ولا تزيد العقل نوراً. يقول الرسول ﷺ: **«من بطؤ به عمله لم يسرع به نسبه»**.

فالعمل إذا أخَّر صاحبه فإن النسب لا يضعه في المقدمة ولا يسرع به إلى مركز التوجيه والقيادة، ويقول: **«لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى»**. فالتفاضل بين الناس إنما هو بتقوى الله، والمحور الذي تدور عليه التقوى هو فعل الخير وترك الشر.

وبقدر ما يقدمه الإنسان من الخير. وبقدر ما يتجنب من الشر بقدر ما يحقق من التقوى التي تصل بالمرء إلى منزلة الكرامة عند الله والوجاهة في الناس:

«إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

والناس فريقان: فريق يتجه إلى الناحية الشكلية فيهتم بها ويحرص عليها. يقول الرسول ﷺ:

**«كلكم لآدم وآدم من تراب**

**مؤمن تقيّ كريم على الله. وفاجر شقي، هيّن على الله.**

**إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[1] الجاهلية وفخرها بالآباء. لينتهين أقوام عن فخرهم بالآباء أو ليكونن أهون عند الله من الجعلان التي ترفع بأنفها النتن».**

وفي الحديث: **«إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً فقلت: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، فأبيتم إلا أن تقولوا: «فلان ابن فلان»، فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم».**

---

(١) الكبر والتعاظم.

والمال ليست له قيمة إلا من حيث أنه وسيلة للمطالب التي يحتاج إليها الإنسان في قطع مرحلة هذه الحياة، فإذا تحول إلى غاية وأخذ حيِّزاً من تفكير الإنسان وعاطفته، فإنه حينئذ يكون قد خرج عن وظيفته الأساسية وشغل الناس بما لا ينبغي أن تشغل به.

وقد عمل الإسلام على أن يوجه نظر الإنسان إلى هذه المعاني فقال الرسول: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وللغرائز والميول نزوات عاتية، وكثيراً ما حالت بين الإنسان وبين مثله العليا وأهدافه النبيلة. وقد حرر الإسلام النفس منها بالتزهيد في الشهوات، وحبب إليها التقليل في الرغبات، وحذره من مغبة اتباع الهوى، وأن على الانسان أن يعلو على كل رغيبة من الرغائب التي لا تحقق نفعاً ولا يتبعها مصلحة:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

إن الغاية التي يريدها الإسلام من الإنسان هي أن يحقق العبودية لله وحده؛ والعبودية لله هي أشرف وصف يوصف به العبد. ولا تتحقق

العبودية لله إلا إذا تحرر الإنسان من عبودية السيطرة وعبودية الخوف والاضطراب، وعبودية الحسب والنسب والجاه والمال، وعبودية الهوى والشهوة وأصبح عبد الله وحده.

هذه هي روح الإسلام وحقيقته:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾.

وهذه هي الصورة التي يجب على الإنسان أن يلقى بها ربه لينعم برضاه والقرب منه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

ونحن بعد أن قطعنا شوطاً بعيداً في التحرر السياسي والتحرر الاقتصادي والتحرر الاجتماعي والتحرر العسكري، واتجهنا جادِّين إلى تحرير المواطن والوطن ينبغي أن نتجه جادِّين كذلك إلى تحرير النفس، وفي تحريرها الانطلاقة الكبرى إلى القيادة والسيادة والتمكين في الأرض:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

* * *



# منهج المسلم في حياته اليومية

إن من دلائل العقل وكمال الرشد أن يكون للإنسان منهج يسير عليه في يومه، وخطة يترسّمها في حياته. ولقد وضّح الإسلام هذه الخطة ونظم هذا المنهج ليكون المسلم في حياته مترسّماً الخطة المثلى ومتجهاً نحو المثل الأعلى.

وأول ما رسمه الإسلام ودعا إلى المحافظة عليه: هو الوقت؛ إذ أنه هو الحياة. وما ينبغي للإنسان أن يفرّط في شيء منه. فإن التفريط في جزء منه، إنما هو تفريط في الحياة نفسها.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾. أي أن الليل يأتي بعد النهار والنهار يأتي بعد الليل. ويخلف كل منهما الآخر.

وإنما جعلهما كذلك ليكونا مجالاً للشكر وللذكر. وهما الجناحان اللذان يطير بهما الإنسان إلى الله عز وجل. وإن الذين يضيعون أوقاتهم في اللهو والعبث والتافه من الأمر إنما يضيّعون رأس مالهم الذي لا عوض له، فيأتون يوم القيامة وهم نادمون.

يقول الله سبحانه ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾. فالآية

تقرر أنه في يوم القيامة، يظهر تفريط المفرط في وقته والمضيّع لعمره. وهذا معنى التغابن.

والمفرط والمقصر في حق وقته تحضره الحسرة والندامة وإن كان قد أحسن وانتهى أمره إلى الجنة. قال رسول الله ﷺ: «**لن يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرّت عليهم في غير ذكر الله عز وجل**». فهم وإن دخلوا الجنة يذكرون هذه الأوقات العابثة وهذه الحياة المضيّعة فيتحسرون عليها، وهم يتقلبون في الجنة في أنعم الله، إذ لم يكونوا أنفقوها في ذكر الله.

وتبدو قيمة الوقت حينما تحضر الوفاة هؤلاء الذين ضيّعوا أوقاتهم فيسألون الله عز وجل أن يُمدَّ في أعمارهم من أجل أن يزدادوا من العمل الصالح: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [1]. فالله يقول: كلا: معنى الزجر والردع. فهذا ليس الوقت الذي يمكن أن يمدّ العمر فيه. وقد أعطى الفرصة للعاملين ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي ألم نعطكم العمر الطويل الذي كان يمكن أن يتذكر فيه من يريد أن يتذكر؟ وجاءكم النذير... فلا حجة لكم بعد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ

(١) المؤمنون، ٩٩ ـ ١٠٠.

أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

والنبي ﷺ يقول: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»** فنعمة الصحة ونعمة الفراغ لا يعرف الإنسان قدرهما إلا بعد فواتهما، فلا يعرف الإنسان قيمة الوقت ولا قيمة الصحة إلا بعد فقدهما.

إن الله سائلنا عن أعمارنا فلنقدر هذه المسؤولية الكبرى. يقول الرسول ﷺ:

**«لا تزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه».**

هذا أمر أول يحرص الإسلام عليه.

وثمة أمر آخر يطالبنا الإسلام به وهو المحافظة على فرائض الله، فإن الله سبحانه له حق علينا. ومن حقه أن نؤدي فرائضه. **قال الرسول** ﷺ لمعاذ:

**«أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم قال: يا معاذ، أتدري ما حق العباد على الله إن هم فعلوا ذلك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله إن هم فعلوا ذلك أن يدخلوا الجنة».**

وروح العبادة الإخلاص. فإذا تجردت منه كان نفاقاً ورياء. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾.

وعبادة الله كما أنها حق له وواجب علينا فهي تكسبنا محبته والقرب منه. ففي الحديث القدسي: **«وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»**.

ويقول:

**«من عادى لي ولياً بارزني بالمحاربة. وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه»**.

ولا بدَّ في العبادة من فقه ودراسة، فكل عبادة ليس فيها فقه ولا علم فهي أقرب إلى المعصية منها إلى الطاعة، لأنه لا يتقرب إلى الله بجهل قط. فعلى الإنسان أن يتعلم كيف يتطهر وكيف يصلي وكيف يؤدي حق الله عليه.

ووراء العبادة شيء آخر تجب المحافظة عليه. فهذه الأعضاء أمانة ائتمننا الله عليها. فالسمع أمانة، والبصر واللسان واليد وسائر الأعضاء أمانة ـ فهذه الأعضاء إنما وهبها الله لنا لنستعملها في الخير ونطهرها من الإثم والدنس. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾.

ويقول:

﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾.

ويقول ﷺ: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»**.

ولقد أكل رجل من الصحابة ثريداً ولحماً كثيراً، ثم حضر إلى مجلس رسول الله ـ ﷺ ـ فتجشأ، فقال الرسول له:

«أردد عليك مِنْ جشائك أبا جحيفة، **فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطوله جوعاً يوم القيامة**».

فلكل عضو من هذه الأعضاء أدب خاص، أمر الإسلام بالتزامه حتى لا يخرج عن المنهج القويم. فحيثما نمارس نشاطنا في أي مجال: في الشارع أو في البيت، في المأكل أو في المشرب، يجب أن نراعي الأدب في يقظة ووعي وإتقان العمل وإجادته مما ألزم به الإسلام؛ سواء أكان هذا من الأعمال الدنيوية أو الدينية. والاتقان، إنما يتحقق بأن نبذل كل جهد ونصدق غاية الصدق. يقول الرسول ﷺ:

**«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»**.

وأي تفريط فيما يسند للإنسان من عمل يعتبر خيانة. وإذا تفشى هذا الداء في أمة كان ذلك إيذاناً بزوالها. **سأل رجل الرسول**، ﷺ، عن الساعة فأجابه:

**«إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وما تضييع الأمانة؟ قال: «إذا رُسَّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**. والساعة هنا هي ساعة قيامة الأمة وتدهورها.

والإنسان بعد ذلك لا يخلو من إحدى حالات ثلاث: من نعمة تنزل به فتجب مقابلتها بالشكر. أو مصيبة تحل به فتقابل بالصبر. أو معصية فتقابل بالتضرع والاستغفار والتوبة.

هذا هو المنهج المرسوم للإنسان. فإذا حافظ على وقته في حياته اليومية، وقام بالفرائض التي فرضت عليه، واتقى الله في جوارحه وأعضائه، وأدى واجبه نحو العمل المطلوب منه، وراعى كل حالة بما يناسبها: يكون قد حقق المنهج، وبلغ الغاية، ووصل إلى الكمال الإنساني.

ولقد ضرب الرسول - ﷺ - المثل الأعلى في التزام هذا المنهج فكان يقول: **«إذا أتى عليَّ يوم لم أزدد فيه علماً ولم أزدد فيه هدى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»**.

فإذا حافظ عليه بلغ الغاية من الكمال الذي ينشده الإسلام.

* * *



# روابط المجتمع الإسلامي وأخلاقياته



# روابط المجتمع الإسلامي

## رباط الإخاء

يهتم الإسلام بالمجتمع، ويضع الأسس الثابتة التي يقوم عليها بنيانه، والخطوط العريضة التي تصون كيانه، وتحفظه من التصدع والسقوط.

إنه يربط المسلمين جميعاً بعضهم ببعض برباط هو أوثق الروابط، وهو رباط الأخوة الدينية التي تنمحي أمامها جميع الفوارق: من نسب عريق، ومال وفير، وجاه عريض، وغير ذلك مما درج الناس على اعتباره مميزاً بعضهم عن بعض.

فأي إنسان، مهما كان عريق النسب، أو كثير المال، أو كان له شأن في بيئته، فهو أخ لمن دونه نسباً، وأقل منه مالاً، وأحط شأناً في المنزلة الاجتماعية.

وهذه الأخوة تكتسب بمجرد الدخول في دين الإسلام.

يقول الله تعالى:

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[1].

فالقرآن يعلن أن المشركين وغيرهم من الكفرة ينتظمون في سلك هذا الإخاء الديني بمجرد الدخول في هذا الدين.

* * *

(١) سورة التوبة، آية: ٥.

# حقوق الأخوة

وهذا الإخاء يقتضي تبعات وحقوقاً، وليس هو إخاءً عقيماً لا ثمرة له في الخارج، ولا أثر له في الواقع.

فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأمر أخيه، وأن يُعنى بشأنه، والدفاع عنه والذّياد عن حياضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره، وإعداده لمستقبل أعز وأكرم.

يقول الرسول ﷺ:

**«مَثَلُ المُؤمِنِينَ في تَوادِّهِمْ وتَراحُمِهِمْ وتعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عِضْوٌ تَدَاعى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى»** [1].

ومن مظاهر هذا الاهتمام ألاّ يدع المسلم أخاه للأحداث تتحكم فيه وتنال منه. بل عليه أن يبذل له من ذات يده، وأن يدفع عنه كل أذى يصيبه، أو شر يقع عليه.

يقول الرسول ﷺ

**«المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يَخْذلُه ولا يحقره، بحسب**

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

**امرىء من الشر أن يَحْقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ: دمُه، ومالُه وعرضُه»**[1].

وقال عليه السلام:

**«أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل: يا رسول الله، عرفنا كيف ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره»**[2].

ومن حق المسلم على المسلم أن يحفظ عرضه، ويصون حرمته في حضوره أو غيبته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

يقول رسول الله ﷺ:

**«ما من امرىء يَخْذُل امرءاً**[3] **مسلماً في موضع تُنْتَهك فيه حُرْمَتُه، وَيُنْتَقَصُ فيه من عِرْضه إلا خَذلَه الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرىء ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»**[4].

**«من ردَّ عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»**[5].

ويقول عليه الصلاة والسلام:

**«المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عنه ضَيْعَتَه**

---

(١) رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة.
(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث جابر.
(٣) يخذل: يترك نصرته.
(٤) رواه أبو داود من حديث جابر.
(٥) رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء.

**ويحوطه من ورائه»** [1] أي أن المؤمن يبصر أخاه بعيوبه، ويحافظ على ماله ولو كان غائباً، ويحوطه دفاعاً عنه.

وهكذا يمضي الإسلام في تقرير هذه الحقوق وإيجادها لتكون دستوراً تلتقي الجماعة المسلمة عنده وتعتصم به.

* * *

---

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة.



# دور الخلق

على أن الإسلام لا يكون إسلاماً حقيقياً حتى تمتلىء به النفس فيكون كل ما يصدر عنها إنما هو قبس من نوره الوضاء، وفيض من ينابيعه الصافية.

مثله في ذلك مثل الطعام بالنسبة للأجسام.

فهو يتفاعل داخل الجسم، ويتحول إلى قوى وطاقات ونشاط يظهر أثره، ويبرز للعيان.

وجملة التعاليم الإسلامية تستهدف تحقيق الخلق العالي، والأدب الرفيع، وإشاعة الرحمة والبر والإحسان.

يقول الرسول ﷺ:

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ومن أجل هذا المعنى نجد الارتباط الوثيق بين عقيدة الإسلام وتشريعاته، وبين هذا المعنى.

فكلها وسائل لصقل النفس، وتهذيبها، وإقامتها على الصراط السوي.

فالعقيدة من إيمان بالله وتقديس له؛ من شأنها أن توقظ حواس الخير، وتربي ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها، وتنأى بالإنسان عن محقرات الأمور وسفاسف الأعمال.

والله سبحانه هو الكمال المطلق، والرحمة الواسعة؛ ولا يدخل في حظيرة قدسه إلا من تخلق بأخلاقه واتصف بصفاته.

وفي الأثر: «تخلَّقوا بأخلاق الله».

وجميع العبادات، والمعاملات، وكل أوامر الله ونواهيه إنما تتجه هذا الاتجاه، وتدور في هذا الفلك.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[1].

فالآية تقرر أن الغاية من إنزال الكتب، وإرسال الرسل إقامة الحق والعدل في الأرض.

ولا يدع الإسلام أي ناحية من نواحي الخلق الحسن إلا ويدعو إليها بقوة، ويحث عليها في حماسة.

ومقياس الإيمان.. الخلق:

يقول الرسول ﷺ:

**«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»**[2].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) رواه الترمذي بإسناد حسن عن أبي هريرة.

وقد يجهد المرء نفسه في عبادة يستمد منها دوام الثواب بحيث لا ينقطع في ليل ولا في نهار، فيديم صيام النهار فلا يفطر، وقيام الليل فلا يفتر. ولا ريب في أن المحافظة على هذا والمثابرة عليه من عمل الصدِّيقين، وليس كل إنسان بقادر عليه ولا مستطيع له.

ولكن الإسلام يفتح باب هذا الخير من طريق الخلق. فيقول الرسول ﷺ: **«إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»** [1].

وتفاضل الناس واقتسامهم المنازل والدرجات عند الله بحسب الحالة الخلقية التي وصلوا إليها. يقول الرسول ﷺ:

**«أنا زعيم ببيت في رَبَض** [2] **الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقاً؛ وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»** [3].

وإنما يثقل ميزان الفرد أو يخف حسب قيمته الخلقية؛ يقول الرسول - ﷺ -:

**«ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»** [4].

والخلق إنما يصدر عن نفس سمحة، وضمير حي. فكما يبدو حسنه في الأمر الكبير يتجلى كذلك في الأمر الذي يبدو وكأنه لا شأن له.

---

(١) رواه أبو داود عن عائشة.

(٢) الربض: الفضاء المحوط عليه حولها. رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه الترمذي عن أبي الدرداء بإسناد صحيح.

فالإحسان إلى المسيء خلق حسن، والابتسامة في وجه الصديق خلق حسن كذلك.

وإن النفس الفاشلة التي تنطلق على سجيتها.. لا تفرق بين هذا ولا بين ذلك.

يقول الرسول ﷺ:

**«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق»**[١].

ونار الله الموقدة التي هي شديدة الأوار، والتي وقودها الناس والحجارة إنما يطفئها نصف تمرة، أو كلمة طيبة.

يقول الرسول ﷺ:

**«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»**[٢].

وغفران الله يحيط بالمذنب الدنس إذا تفجر في قلبه نبع البر والرحمة.

يقول رسول الله ﷺ:

**«بينما كلب يطيف (يدور) بِرَكِيَّة (البئر) قد يكاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها (الخف ـ الجزمة) فاستقت له به فسقته فغفر له به»**.

---

(١) رواه أبو مسلم عن أبي ذر.

(٢) رواه البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم.

ولقد رأى رسول الله - ﷺ - رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين[1].

والإحسان هو غاية من الغايات التي يريد الإسلام أن يجعلها جزءاً من الطبيعة الإنسانية بحيث يصدر الإنسان عنها في كل ما يأتي وما يذر.

يقول الرسول ﷺ:

**«إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةِ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحَة، وليَحُدَّ أحدُكُم شفْرته[2]، وليرح ذَبيحته».**

وإدخال السرور على الناس، والاهتمام بضروراتهم من أقرب القربات.

سئل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقال:

**«إدخال السرور على المؤمن. قيل: وما إدخال السرور على المؤمن؟ قال: سد جوعته، وفك كربته، وقضاء دينه».**

وهكذا يمضي الإسلام يضع الأسس الأدبية لحياة راقية رفيعة، يمكن أن يكون عنوانها تلك الحكمة النبوية المشرقة: «الناس عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الشفرة: السكين. رواه مسلم عن أبي يعلى.



# الحبُّ في الله

والحب في الله له مكان فسيح في المجتمع الإسلامي، والمتحابون يتبؤون منازل الكرامة، ويبلغون درجات الصديقين.

فعن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال:

**«إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»**[1].

وزيارة أخ في الله على محبة وشوق تستوجب محبة الله ودخول الجنة، قال الرسول - ﷺ -:

«من عاد مريضاً، **أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً»**[2].

وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال:

**«زار رجل أخاً في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته**[3]

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي بسند حسن.
(٣) أوقف على طريقه ملكاً.

ملكاً، فلما أتى عليه، قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك علية من نعمة تربها[1]؟ لا، غير أنّي أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه».

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ:

«وما تحابَّ اثنان في الله إلا كان أحبُّهما إلى الله أشدَّهما حباً لصاحبه».

وقال معاذ: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: قال الله تبارك وتعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ»[2].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابُّوا. أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[3].

---

(١) تربها: تصلحها.

(٢) رواه مالك بإسناد صحيح.

(٣) رواه مسلم.

# إصلاح ذات البين

وعلى المسلمين أن يسارعوا إلى إصلاح ذات البين، وتقوية الروابط إذا تعرضت لوهن أو ضعف.

ولا تقل أهمية هذه المسارعة عن أهمية المسارعة إلى الصلاة وغيرها من العبادات.

فعن أبي الدرداء، أن النبي - ﷺ - قال:

**«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحلقة»** [١].

ويقول النبي ﷺ:

**«ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا»** [٢].

والكلمة الطيبة التي تجمع الشتات، وتوحد الكلمة، وترأب الصدع من الخير الذي يتقرب به إلى الله:

---

(١) رواه الترمذي وصححه.

(٢) رواه الطبراني.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [1].

ولم يرخص الإسلام في الكذب إلا في مثل هذه الظروف. تأليفاً للقلوب، وتوحيدا للصفوف. يقول الرسول ـ ﷺ ـ:

**«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً»**.

وروى أبو داود عن أم كلثوم بنت عقبة قالت: ما سمعت رسول الله يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث: كان يقول:

**«لا أَعُدُّهُ كاذباً الرجل يصلح بين الناس، يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح [2] والرجل يقول في الحرب [3] والرجل يحدّث امرأته، والمرأة تحدث زوجها»** [4].

والإصلاح بين الطوائف المتخاصمة أمر حتم ولو لم يتم ذلك إلا بالعنف، محافظة على الكيان العام للجماعة، وإبقاء لعلاقات المودة والإخاء. يقول الله تعالى:

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) أي أن الرجل يسمع طعن كل من الخصمين في الآخر فلا ينقل هذا الطعن ويؤلف كلاماً حسناً من نفسه وينقله إليهما فلا يسمى حينئذ كاذباً لأنه يبغي الإصلاح.

(٣) لأن الحرب خدعة.

(٤) محافظة على الحياة الزوجية.

عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [١].

(١) سورة الحجرات، آية: ٩.



# عدل الحاكِم

وأهم من كل ما تقدم عدل الحاكم بين رعاياه، وحبه لشعبه وإخلاصه له، وحنوه عليه، فهذا من شأنه أن يوثق الصلة بين الحاكم والمحكوم،. ويربط بينهما برباط موثق لا تنفصم عروته، ولا تهن قوته؛ فتشيع الطمأنينة، وتستقر الأوضاع، ويمضي كل إلى غايته.

فبينما الحاكم يعمل دائباً على إصلاح أمته، والنهوض بها، إذ المحكوم يتجاوب معه، ويضطلع بعبء الإصلاح عن رضى واختيار. وقد أظل الجميع ألوية الأمن والسلام.

ومن ثم عظَّم الإسلام شأن الحاكم العادل ونوه به.

فيوم من أيام عدله في ميزان حسناته خير من عبادة ستين سنة: قيام ليلها وصيام نهارها.

روى الطبراني عن ابن عباس ـ بسند حسن ـ أن النبي ﷺ، قال: **«يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة»**.

وهو رفيع المنزلة عظيم الجاه عند الله والناس.

روى الترمذي، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

**«أحبُّ الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل. وأبغض الناس إلى الله تعالى، وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر».**

والحاكم العادل مستجاب الدعوة، وفي ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

روى مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:

**«إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلوا».**

وهو موطد السلطان ما بقي العدل ظلاً له. فإذا تقلص عنه ظله كان ذلك إيذاناً بزوال حكمه وغروب شمسه.

روى أحمد عن أبي موسى، أن رسول الله - ﷺ - صلوات الله وسلامه عليه - قال:

**«إن هذا الأمر في قريش ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا قسموا أقسطوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه صرف ولا عدل».**

بل الأمة التي يفشو فيها الظلم، والبغي، ويُغلب فيها الضعيف على أمره لا تستحق الحياة، وتسقط من رعاية الله.

روى الطبراني عن ابن مسعود عن معاوية، أن رسول الله - ﷺ - قال:

**«لا تقدس أمة لا يُقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع».**

هذه هي بعض الخطوط التي وضعها الإسلام لبناء مجتمع قوي، زاخر بالمبادىء السامية، وحافل بالحب والإخاء، والحق، والعدل، والخير، والبر، والرحمة، والإحسان.

وهي جديرة بأن يأخذ المسلمون بها أنفسهم، ويقيموا عليها حياتهم حتى ينهضوا، ويسعدوا، ويقودوا غيرهم إلى الهدى والرشاد.

وما قيمة الحياة لو تجردت من هذه المعاني فأقفرت من الحق والعدل، وغاض فيها نبع الحب والحنان..

* * *



# أخلاقيات المجتمع الإسلامي

## الصَّبر

قال رسول الله ﷺ:

**«ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يتعفف يعفه الله، ومن يستغـن يغـنه الله، ومن يتصبر يصبِّره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر».**

### فضائل الصبر:

إذا أحصينا فضائل النفس الإنسانية برز لنا في طليعتها فضيلة الصبر والمصابرة، والثبات والمثابرة.

إذ أن هذه هي الفضائل التي تصنع الرجال وتنهض بالأمم، وتصل بها إلى أبعد الغايات من العلم والعمل، وترقى بها إلى الذروة في الصناعة والزراعة والتجارة، وسائر شؤون العمران.

وإذا لفتنا النظر إلى ما ينعم به البشر من النعم المادية والروحية ظهر لنا أنه ثمرة الصبر والكفاح ونتيجة الدأب والمثابرة.

ومن ثم جاء الدين الإسلامي يوصي بالصبر، ويذكره في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن الكريم.

ففي بعض الآيات يأمر به سبحانه فيقول:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[1].

وفي بعضها يضيفه إلى الله تنويهاً به، ويخبر بأنه مع الصابرين بتأييده وتوفيقه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾[2].

وهو السبيل إلى الرئاسة في الدنيا والإمامة في الدين:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3].

ولن يفوز أحد بدرجات القرب عند الله إلا عن طريق الصبر:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[4].

وقد جعل الله لكل عمل صالح جزاءً مقدراً إلا الصبر، فإن الأجر فوق التقدير والحسبان:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٣) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٤٢.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

والصبر هو الفضيلة التي كلف الله بها أولي العزم من الرسل. فعن عائشة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

**«إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر، ولم يرضَ إلا أن كلفني ما كلفهم فقال:** ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[2] **والله لأصبرن كما صبروا».**

وهو إحدى علامات الإيمان.

سأل رسول الله ﷺ جماعة: «أمؤمنون أنتم؟

فقال عمر: نعم يا رسول الله.

فقال: فما علاقة إيمانكم؟

فقال: نشكر على الرخاء، ونصبر على البلاء، ونرضى بالقضاء.

فقال: مؤمنون ورب الكعبة».

وبهذه الصفة استحقت هذه الأمة التنويه بشأنها في الأولين.

قال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

**«إن الله عزّ وجلّ قال لعيسى بن مريم: يا عيسى، إني باعث بعدك أمة إن أتاهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، أعطيهم من حلمي وعلمي».**

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

## مجالات الصبر:

وللصبر صور شتى، وشعب متعددة.

منها: الصبر في مواطن الحق، والثبات في وجوه خصومه حتى ينتصر، والجهاد من أجل استقرار المبادىء الكريمة، والعقائد الصحيحة، واحتمال الصعاب من أجل مطاردة الرذائل ومحاربة البدع والمنكرات حتى تختفي وتزول:

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[(١)].

روى البخاري عن خباب بن الأرت أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيُجاء بالمنشار فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه؛ والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخالف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».**

وفي هذا المعنى يقول قطري بن الفجاءة:

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال ويحك أن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم
عن الأجل الذي لك لم تطاعي

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيل الجلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي
فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لم يغتبط يسأم ويهرم
وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة
إذا ما عُدَّ من سقط المتاع

* * *

ومنها: احتمال أذى الغير ومقابلته بالعفو والمسامحة:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾[2].

وقد وقف رجل على رسول الله - ﷺ - وهو يقسم الغنائم فقال:

إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أُريد فيها وجهة الله.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

فقال رسول الله - ﷺ -:

فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله - يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر[1].

ومن شعبه الصبر عما يفوت من الحظوظ الدنيا، وعدم منازعة أهلها منازعة تفضي إلى الشقاق وحزازات الصدور.

فعن ابن مسعود، أن النبي - ﷺ - قال:

**ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها.**

**قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟**

**قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»**[2].

وعن أبي يحيى أُسَيْد بن حضير أن رجلاً من الأنصار قال له: يا رسول الله، ألا تستعملني كما استعملت فلاناً؟

فقال: **«إنكم ستلقون بعدي أَثَرَةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»**[3].

والصبر عن معاصي الله بهجرها ومجاهدة النفس في تركها، مما يسمو بها ويقرّبها إلى خالقها؛ ولهذا جاء الإسلام يمنعها من الاسترسال في الهوى والشهوة فيضع لكل حاسة أدباً، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن كل تصرف يصدر عنه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[١].

وقد يستهين الإنسان بارتكاب بعض الذنوب ظناً منه أنها من اللَّمَم الذي تسعه مغفرة الله، مثل النظر إلى النساء الأجنبيات، أو التحدث بالنكات الكاذبة فيقع فيما يسخط الله عليه ويبعده عنه. فليس الشأن في المعاصي أن ينظر إلى كبيرها أو صغيرها، وإنما الشأن فيها أن ينظر إلى الله والأدب معه.

يقول الرسول ﷺ:

**«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، لعنه الله؛ من تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه».**

ويقول النبيّ - ﷺ -:

**«ويل للرجل يحدث فيكذب ليضحك منه القوم، ويل له، ويل له»**[٢].

والإنسان لا يستغني عن الصبر في أداء العبادة والمواظبة على الطاعة، فقد ينتابه الفتور في العبادات البدنية، والبخل في العبادات المالية. فهو في حاجة إلى الصبر لينشط في الصلاة والحج والجهاد والسخاء بالإنفاق على المعوزين، ومواساة المحتاجين.

ومن أعلى مقامات الصبر: الصبر عند نزول النوائب، كموت أو

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٢) رواه أصحاب السنن.

ضياع مال، وضعف صحة، وفساد عضو من أعضاء البدن.

وهذا يقتضي حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن فعل ما يذم ويقبح.

وأن لا يغير عادة من عاداته في هيئته، ولا في أكله، ولا في ملبسه ولا في مظهر بيته، بل يبقى على عاداته إظهاراً لرضاه بقضاء الله.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ:

**«ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة»**[1].

ويقول الرسول ﷺ:

**«ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب[2] ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشّوكةِ يُشَاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه»**[3].

ولا يتنافى مع الصبر حزن القلب ولا دمع العين.

ففي الحديث: **«إن الله لا يعذب بحزن القلب ولا بدمع العين. وإنما يعذّب بهذا ـ وأشار إلى اللسان»**.

ولما قبض ابراهيم، ولد رسول الله ـ ﷺ ـ قال:

**«إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، ولا نقول ما يغضب الرب، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون»**.

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) النصب: التعب، والوصب: المرض.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وكذا لو ذهبنا نتتبع مجالات الصبر لألفينا أنه لا يستغني عنه عالم يطلب الإمامة في العلم، ولا عامل يبتغي المهارة في العمل، ولا إنسان يريد أسمى الغايات ويصل إلى ذروة النجاح.

* * *



# لا طائفية ولا عنصرية في الإسلام

إن من طبيعة الحضارة المادية التنكر للحق، والاستهانة بالمثل، ومجافاة العدل، ومقارفة الظلم والجور.

ومن أبرز الأمثلة على تأصل هذه الطبيعة وعمق جذورها، ما حدث في الجزائر من حرب الإبادة، وما يحدث في جنوب إفريقيا من التمييز العنصري، وما رأيناه وسمعنا به في كل بلد ابتلي بالاستعمار الأسود، وحل به غَشمه وظلمه.

إن هذه الطبيعة هي التي أوحت إلى الرجل الأبيض بأنه أرقى جنساً وأسمى عنصراً، وأنه ما خلق إلا ليقود ويسود. وأن غيره من الناس ما خلقوا إلا ليكونوا مسخرين له ومذللين لخدماته ومنافعه.

هذه هي الفكرة الجاهلية التي سادت الأمم البدائية في القديم، والتي لا تزال مسيطرة على كثير من الأمم والشعوب في الحديث، بالرغم مما أحرزته من الرقي المادي والتقدم الصناعي، وما وصلت إليه من علم وكشف لم يسبق لهما نظير. ولقد كان الإسلام بعيد النظر حينما أدرك مدى عمق هذه العقيدة في النفس الإنسانية، ومدى خطورتها على البشرية. فحاول ـ من أول يوم ـ أن يقضي على هذا

الروح المادي الطاغي، ويستبدل به الروح الإسلامي السمح الرحيم.

فنادى من أول يوم، أن الناس جميعاً سواء في أصل النشأة، وأنه لا امتياز لأحد على أحد من حيث الطبيعة الإنسانية:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾[1].

وإذا كان هناك فرق في اللون، فهذا الفارق آية من آيات الله، وأثر من آثار البيئة، وهذا لا يغير من الحقيقة شيئاً.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢﴾[2].

والله جعل الناس شعوباً وقبائل لتعارفوا ويأتلفوا، لا ليتناكروا ويختلفوا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[3].

وبركات الله مبثوثة في الكون والطبيعة. ولكلٍّ الحقُّ في الانتفاع بها. فالله لم يحلّها لقوم ويحرِّمها على آخرين. وإنما سخرها للأسرة البشرية جميعاً وجعلهم سواء في حق التمتع بها:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٨.

(٢) سورة الروم، آية: ٢٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٤) سورة الجاثية، آية: ١٣.

وقال جل شأنه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [1].

وإذا كان ما في السموات وما في الأرض مسخراً للإنسان ومعداً لمنافعه، ومن حقه أن يأخذ منه ما يرقي وجوده المادي، فإن الله سبحانه وضع بين يديه منهج الرقي الروحي ليدرج في مدارج الكمال، ويصعد في معارج القدس إذا أراد، ولم يجعل لصعوده ولا لرقيّه حداً ينتهي إليه. فما من كمال إلا وعند الله أكمل منه. وأبواب الرحمة مفتوحة للجميع، والصفاء النفسي، والإمداد الإلهي، والهبات الروحية ليست وقفاً على جيل من الناس دون جيل، ولا على طائفة دون أخرى. بل هي مثل النعم المادية في الشيوع والذيوع. وإن طالبها من أي جنس أو لون يحظى بها ويأخذ نصيبه منها دون أن يجد ما يحول بينه وبينها. ومن ثم يقول الله لرسوله - ﷺ -:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [2].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [3].

والأفراد والجماعات والدول سواء في الافتقار إلى الله والحاجة إليه، وإنه لا يستغني عنه أحد بوجه من الوجوه، فهو ربهم الذي يتولى إعدادهم بالتربية في كل طور من أطوار الحياة، وفي كل فترة من فترات الزمن. فيقول تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (١).

وسنن الله التي تجري على الناس، وقوانينه المطردة في الحياة لا تغيير فيها ولا تبديل. وإنما تطبق أتم تطبيق دون تمييز أو محاباة.

يقول الله تعالى:

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ (٢).

وكرامات الناس جميعاً مصونة، وحقوقهم محفوظة.

وهم في المعاملات وأمام القانون سواء. والتكريم للإنسان من حيث هو إنسان بقطع النظر عن إيمانه وكفره، فيقول الله تعالى:

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (٣).

والإسلام لم يضع هذه المبادىء لتبقى سطوراً في الكتب أو كلمات يرددها العلماء، ويحلم بها هداة الإنسانية، وإنما وضعها لتكون هي الواقع العملي للناس. ولتتجلّى في الحياة وفي السلوك.

---

(١) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، الآيات ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

والتطبيق العملي إنما يقوم به مبلّغ هذه المبادىء ويقوم به معه أصحابه لتكون نموذجاً حياً وواقعياً يملأ الأبصار والأسماع.

ومن ثم تبدو لنا بعض حكم العبادات الاجتماعية التي أمر الإسلام أن تؤدى جماعة، ليندمج المؤمنون جميعاً ويختلط بعضهم ببعض، ويظهروا بمظهر التآخي والمساواة ونبذ الفروق.

ولقد كان الإسلام صارماً غاية الصرامة، ومندداً بالذين يشعرون أن لهم من الشرف أكثر ما لغيرهم، وأنه لا حقَّ لمن دونهم في المنزلة الاجتماعية أن يجالسوهم ويختلطوا بهم، فقال لنبيه:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (١).

وكان هؤلاء قد طلبوا من الرسول ـ صلوات الله عليه ـ أن يجمل لهم مجلساً خاصاً، ويبعد عنه الفقراء والضعفاء والأرقاء.

والتعالي بالأنساب كان يشغل حيزاً كبيراً من قلب العربي وتفكيره، فأراد الإسلام أن يمحو من نفسه هذه النزعة، وأن يوجهه إلى ما هو أبر وأتقى من الإيمان والعمل فقال:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (٢).

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ٢٨ و٢٩.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١٠١.

وقال تعالى:

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾[1].

والإنسان مرهون بما يقدمه لنفسه ولغيره فيقول تعالى:

﴿كُلُّ ٱمْرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[2].

وبقوله سبحانه:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾[3].

والآباء قد أفضوا إلى ما قدموا وهم يعاملون بمقتضى قانون العمل والجزاء، فيقول الله تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[4].

روى أبو داود والترمذي، بسند صحيح، عن أبي هريرة، أن النبي - ﷺ - قال:

**«إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[5] الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقيّ، وفاجر شقيّ، أنتم بنو آدم وآدم من تراب. ليدَعَنَّ رجال فخرهم**

---

(١) سورة الممتحنة، آية: ٣.

(٢) سورة الطور، آية: ٢١.

(٣) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ و٨.

(٥) الكبر والتعاظم.

**بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان[1] التي تدفع بأنفها النتن».**

وكان للعصبية في المجتمع الجاهلي شأن وأي شأن. فقد كان الرجل يشايع قبيلته، ويناصر عشيرته على الحق والباطل. فحرَّم الإسلام المشايعة على الباطل وجعلها منافية له.

روى أبو داود عن جُبَيْر بن مطعم أن الرسول ـ ﷺ ـ قال:

**«ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية».**

أما مناصرة العشيرة ومشايعتها من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل فهي من جلائل الأعمال التي تشرئب إليها الأعناق. فعن سرقة بن مالك، رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال:

**«خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم».**

وعن عبد الرحمن بن عقبة، أنه حضر مع رسول الله غزوة أُحد وضرب رجلاً من المشركين، وقال: خذها وأنا الغلام الفارس. فالتفت إليه الرسول وقال: «فهلا قلت: خذها وأنا الغلام الأنصاري». أي أنه يريد أن يمنعه من الاعتزاز بقومه وجنسيته، ويرشده إلى الاعتزاز بالوحدة الدينية الجامعة.

وعلى هذا النحو مضى الإسلام يرسم منهج المساواة، ويضع أسس التآخي، وينظم المجتمع في وحدة شاملة لا تعرف تفرقة بين جنس وجنس ولا بين لون ولون، ولا بين طبقة وأخرى.

---

(١) دويبة صغيرة سوداء توجد في مراح البقر وتجمع الروث.

وبرسم هذا المنهج. وبتطبيقه تطبيقاً عملياً بعيداً عن الزيف في عهد النبوة المبارك وجد المجتمع الإسلامي المتعاطف المتراحم، تظلله الوحدة ويسوده الإخاء، وينـدفـع الأفـراد فيـه إلى العمـل الصالح، ويحرصون على تقوى الله ونفع الناس. وأصبحت هذه الأعمال هي المقياس الذي يقاس به شرف الرجال، وأصبحت نظرة الأفراد والجماعة إلى الأشخاص من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

وأي إنسان لا يقوم بالواجب ولا يتقي الله فلا كرامة له ولا خير فيه، ولا يقام له وزن لا عند الله ولا عند الناس.

إن كثيراً من الناس ما زالوا فقراء إلى هذه التعاليم الإنسانية المباركة. وإن على المسلمين الذين فقهوها أن يدعوا إليها ويبشروا بها، ويجعلوا الناس عليها حتى تنمحي الفوارق ويزول التمايز الطبقي، ويدخل الجميع في وحدة إنسانية شاملة تعمل على إنهاض الإنسان وترقيته وإعلاء شأنه ليبلغ كماله المقدر له كخليفة عن الله في الأرض.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

# الحِلْم، أو ضبط النفس

الحلم أو ضبط النفس دليل على قوة الشخصية، ومظهر من مظاهر الرشد واكتمال العقل، وثمرة من ثمار التدين الصحيح.

والحلم من الصفات التي لا يستغني عنها الإنسان الذي يعيش في مجتمع تتصارع فيه الأهواء، وتتضارب فيه الآراء، وتختلف فيه وجهات النظر.

وللإسلام توجيهات حكيمة، من شأنها أن تحمل الإنسان على التخلق بهذه الصفة والاستمساك بعراها.

فالله سبحانه إنما أعد جنته التي عرضها السموات والأرض للكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والذين يحسنون إلى من أساء إليهم:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[١].

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٣ و١٣٤.

وفي هذا التعويض شفاة للنفس، وتفريغ للغيظ، وإن ذلك أجدى على الإنسان وأحسن عاقبة.

ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في ميزان الحق؛ إذ السيئة سيئة في قدر الله وفي عرف الناس، والحسنة حسنة في قدر الله وعند الناس كذلك، وإن لكل منهما نتائجه في واقع الحياة.

وإذا كان ذلك كذلك فلا معدى عن ما هو من شأنه أن يجمع القلوب ويرطب الصلات.

وليس ثمة أبلغ من حسنة تقدم إلى المسيء؛ فهي تذكره بالإنسانية التي جحدها من جانب، وتعيده إلى مودة أخيه من جانب آخر، فطالما استعبد الإنسان إحسانٌ:

﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

وهذا معنى لا يظفر به إلا الذين زكت نفوسهم، وسمت أرواحهم فكانوا حكماء يعرفون للخير مواضعه، وللشر مواضعه كذلك.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾[2].

والرفق من صفات الله، والله يحب أن يرى أثر صفاته في خلقه. يقول الرسول ﷺ:

**«إن الله يحب الرفق في الأمر كله»**[3].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤. الولي: القريب الحميم.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٥.

(٣) رواه الترمذي عن ابن مسعود وقال حديث حسن.

وإذا تجلت هذه الصفة في نفس الإنسان اقترب من الله وصلح لجواره، وبقدر ما يقترب منه بقدر ما يبتعد عن النار. يقول الرسول ﷺ:

**«ألا أخبركم بمن تُحَرَّم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل»**(١).

ورسول الله ﷺ يضرب المثل بنفسه، فهو لم يضرب شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نِيلَ منه شيء قط فينتقم من صاحبه ألا يُنْتَهَك من محارم الله فينتقم لله.

وما خُيِّرَ رسول الله - ﷺ - بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه.

وعن ابن مسعود أن رسول الله - ﷺ - آثر يوم حنين ناساً في القسمة فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِل فيها، وما أُريد فيها وجه الله، فقال ﷺ: **فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟ ثم قال: يرحم الله موسى، قد أوذي أكثر من هذا فصبر»**(٢).

وكان صلوات الله وسلامه عليه ينوّه بصفة الحلم عند من يجدها فيه. قال للمنذر الأشجّ بنِ عَبْدِ القَيْس: «إنَّ فيكَ خلتين يُحِبُّهُما الله: الحِلْمُ، والأناةُ. فقال: يا رسول الله؛ أتخلّق بهما أم الله جبلني عليهما؟ فقال: بل الله جبلك عليهما؛ فقال: الحَمْدُ لله الذي جَبَلَني عَلى خلتين يُحبُّهما الله ورَسُولُه»(٣).

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن عائشة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود والترمذي عن زارع القيس.

ويبين الرسول ﷺ أن تأييد الله ونصره لا يتخلى عن الحلفاء:

شكا رجل فقال: يا رسول الله؛ إن لي قرابة أصِلُهُمْ ويقطعونني، وأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ ويُسِيئُونَ إِلَيّ، وأحْلَمُ عَنْهُمْ ويَجْهَلُونَ عَلَيّ. فقال: لَئِنْ كُنْتَ كما قُلتَ، فكأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلّ[1] ولا يزال مَعَكَ مِنَ الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك».

وليست قوة البدن هي القوة التي يتميز بها الإنسان؛ فهي موجودة في الحيوان أكثر منها في الإنسان، ولكن القوة التي يتميز بها الإنسان وينبغي أن تكون سبب الإعجاب، فهي قوة ضبط النفس. يقول الرسول ﷺ:**«ليس الشديد بالصّرَعَة، إنَّما الشَّديدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**[2].

إذ أن الذي يسيطر على نَفْسِه، ويضبط جماحها، ويزعها عن الطيش والحمق هو القوي على الحقيقة. وذلك يحتاج إلى دربة ومران لكل الظروف وجميع الاحتمالات.

والغضب من شأنه أن يفسد على الإنسان تصرفه ويحول بينه وبين الرشد. فلا يكاد العقل يبصر ما هو خير، ولا تكاد الجوارح تتحرك وتقدر إلا بالتدبير والإذاء، ولو كان هذا الإذاء يلحق الغاضب في نفسه أو ماله أو صحته، ولهذا كانت النصيحة الذهبية التي لا تعدلها نصيحة

---

(١) الملل: الرماد الحار أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم ولا شيء على هذا المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم لتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه. قاله النووي.

(٢) الصرعة الذي يصرع الناس ويطرحهم على الأرض. رواه البخاري ومسلم.

أخرى قولَ الرسول ﷺ للرجل الذي سأله العظة: لا تغضب... فكررها مراراً وهو يقول لا تغضب[1].

فالحلم في مواطن الغضب سيادة على النفس، وضبط لها، وهذه ميزة تميز بها الإنسان عن غيره من الحيوانات التي تقودها غرائزها وتسير بها إلى الهاوية.

والإنسان إنما يكمل بالتهذيب والتدين، ولذا نجد في طليعة صفات عباد الرحمن هذه الصفة:

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[2].

أي أنهم متواضعون، وأنهم حلماء إذا جهل عليهم وصفة الحلم تحتاج إلى التأمل في هذه النصوص للإفادة منها ومجاهدة النفس وحملها على الأخذ بها رغبة فيما عند الله من مثوبة ورهبة من نقص يشين صاحبه.

يقول الرسول ﷺ:

**«إنَّما العِلْمُ بالتَّعَلُّمِ، والحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ».**

أي أنَّ الحِلْمَ يحْتاجُ إلى رياضة نفس، وصبر على الأذى مرة بعد مرة. حتى يصير صفة لها وخلقاً من أخلاقها.

وقد أرشد الرسول ما يَنْبَغِي فِعْلُهُ من تغيير الحالة التي يكون

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

عليها الغاضب فإن فيه صرفاً عن أسباب الإثارة، فإن كان واقفاً فليجلس، وإن كان جالساً فليضطجع أو يقوم ليتوضأ. فإن هذه الممارسة العملية لشأن آخر من شأنها أن توجد النفس وتبعد بها عن موطن الغضب.

وتذكر الله في مثل هذه المواطن يمد النفس بقوة هائلة.

فعن سليمان بن صُرَد، رضي الله عنه، قال: كنت جالساً مع النبي - ﷺ - ورجلان يستبَّان، وأحدهما قد احْمَرّ وجهه، وانتفخت أوداجه. فقال رسول الله - ﷺ -:

**«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عندما يجد. لو قال «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ذهب عندما يجد[1]» فقالوا له: إن النبيّ - ﷺ -** قال: تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم.

على أن الحلم لا يكون حلماً إلا وصاحبه قادر على إنفاذ العقوبة.

فإن كان الحلم أو العفو عن عجز أو ضعف فهو ليس من الحلم في شيء. وإنما هو تَهَيُّبٌ ولُؤْمٌ وجُبْنٌ.

كلُّ حِلْمٍ أتى بِغَيْرِ اقْتِدارٍ

حجةٌ لاجىءٌ إليها اللئامُ

وبعض النفوس الضعيفة لا يزيدها الحلم إلا سفهاً وحمقاً.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فهؤلاء إنما يعاملون المعاملة المناسبة لأحوالهم من الشدة والغلظة عليهم حتى لا يفجروا في خصومة، ولا يكون الحلم وسيلة من وسائل تحريشهم وإغرائهم بالغي والعدوان. ويقول تعالى:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۚ﴾[1].

وفي هذا يقول الشاعر العربي:

لَئِنْ كُنْتُ محتاجاً إلى الحِلْم إنَّني
إلى الجَهْلِ في بَعْضِ الأحايِين أحْوَجُ

وَلي فَرَسٌ لِلْخَيْرِ بالخَيْرِ مُلْجَمٌ
وَلي فَرَسٌ لِلْشَّرِّ بِالشَّرِّ مُسْرَجُ

فَمَنْ شاءَ تَقْويمي فإنِّي مُقَوَّمٌ
وَمَن شَاءَ تَعْويجي فَإنِّي مُعَوَّجُ

وَما كُنْتُ أرضَى الجَهْلَ جِدّاً وَلا أبا
ولَكِنَّني أرْضَى بِهِ حِينَ أُحْرَجُ

لِئِنْ قالَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهِ سَماجَةٌ
لَقَدْ صَدَقُوا والذُّلُّ بالحُرِّ أسْمَجُ

ولقد أثمرت هذه التعاليم الأثر العميق في نفوس العرب، وهم الذين نشأوا على البداوة الجاهلية، والنعرة القبلية..

فكان الواحد منهم يَرِمُ أنفه لأتفه الأسباب، ويشتد غضبه حيث لا موجب للغضب.

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

فلما جاء الإسلام هَذَّبَ من طبائعهم وطمأن من كبريائهم.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

«لله دَرُّ التَّقْوى ما تَرَكَتْ لِذي غَيْظٍ شفَاء».

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قدم عُيَيْنَةُ بنُ حصن فنزل على ابن أخيه، الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، رضي الله عنه، وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كُهولاً كانوا أو شباناً. فقال عُيَيْنَةُ لابن أخيه: يا أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر حتى هم أن يوقع به. فقال له الحُرُّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[1]. وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقَّافاً عند كتاب الله.

وسرق سارق شيئاً من ابن مسعود فقال رضي الله عنه:

«اللهم إن كان حَمَلَتْه على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته على أخذها جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه».

* * *

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

# الفهرس



## الدينُ والإسلام

## أُسس التربية الإسلامية

## روابط المجتمع الإسلامي وأخلاقياته




Bibliotheca Alexandrina
0623507